النبي محمد

صلّى الله عليه و سلم

محمد علي مشعل

النبي محمد ﷺ

الطبعة الثانية

مزيدة بتوثيق النصوص

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

الناشر

موقع الشيخ محمد علي مشعل على الإنترنت

www.mashal.ws

contact@mashal.ws

النبي محمد ﷺ

شمائلُه ومكانته عند ربه وعبادتُه وحقوقُه على أمّته
ومحبة صحابته وقرابته وأهل بيته ومعجزاتُه

تأليف
الشيخ محمد علي مشعل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

فهرس المحتويات

الموضوع **الصفحة**

التعريف بالكتاب ٩

الفصل الأول: شمائله عليه الصلاة والسلام ١١

الحامل على دراسة الشمائل: ١١

[خِلقته ﷺ:] ١٣

شعره وشيبه وترجله وخضابه: ١٧

طيب عرقه وتطيّبه: ١٨

خاتم النبوة: ٢٠

لباسه ﷺ وما يتعلق به: ٢٠

فراشه ﷺ: ٢٧

خاتَمُه ﷺ: ٢٩

مَشْيُه وجلوسه ونومه ﷺ: ٣١

كلامه وسكوته ﷺ: ٣٨

قراءته ﷺ: ٤٠

ضَحِكُه ﷺ: ٤١

مزاحه ﷺ: ٤١

بكاؤه ﷺ: ٤٣

غضبه ﷺ: ٤٥

عيشه وأكله وشربه ﷺ: ٤٧

فراشه ﷺ: ٥٤

سلاحه ﷺ: ٥٥
فصل جامع في أخلاقه وصفاته ﷺ: ٥٥
الحلم والاحتمال، والعفو عند المقدرة، والصبر على ما يكرهه: ٦٠
الجود والكرم والسخاء والسماحة: ٦٣
الشجاعة والنجدة: ٦٤
الحياء والإغضاء: ٦٦
حسن عشرته ﷺ وأدبه وبسط خلقه مع أصناف الخلق: ٦٧
الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق: ٦٩
تواضعه ﷺ: ٧٤
حسن عشرته ﷺ مع أزواجه: ٧٨
خوفه من ربه وطاعته له وشدة عبادته ﷺ: ٨٠
عدله وأمانته وعفته وصدق لهجته ﷺ: ٨٢
ذكر مكانته ﷺ عند ربه: ٨٥
الفصل الثاني مكانته ﷺ عند ربه ﷻ ٨٧
[إكرام أمته ﷺ:] ٩٤
الفصل الثالث عبادته ﷺ ١٠١
الفصل الرابع حقوقه ﷺ على أمته ١٠٧
محبته ﷺ واتباع سنته ١٠٩
الصلاة عليه والتسليم: فرضية وسنية وفضيلة، وصفة ومحلًا ١٢٤
محبة أصحابه وقرابته وأهل بيته وذريته ١٣٤
محبة قرابته وأهل بيته وذريته: ١٣٤

محبة الصحابة رضي الله عنهم: ١٤٢
الفصل الخامس معجزاته ﷺ ١٥١
دلائل نبوته وعظيم معجزاته ١٥٥
القرآن العظيم: ١٥٥
انشقاق القمر: ١٦١
تسبيح الطعام: ١٦٢
تسليم الحَجَر عليه ﷺ: ١٦٢
طاعة الجبل له ﷺ: ١٦٣
كلام الأشجار له، وسلامها عليه، وطواعيتها له، وشهادتها له بالرسالة ﷺ ١٦٤
حَنين الجِذْع: ١٦٦
كلام الحيوانات وطاعتها له ﷺ: ١٦٧
نبع الماء من بين أصابعه ﷺ: ١٦٩
تفجر الماء ببركته ﷺ، وانبعاثه بمسه ودعوته ﷺ: ١٧١
تكثير الطعام القليل ببركته ودعائه ﷺ: ١٧٣
[إبراء ذوي العاهات:] ١٧٩

بسم الله الرحمن الرحيم

التعريف بالكتاب

قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٩].

وفي الصحيحين عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: ((لا يؤمن أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من والدِه وولدِه والناسِ أجمعين))(١).

ومن معالم الحبِّ الشوقُ لرؤية الحبيب ﷺ، كما هو حال صحابته ﷺ في حبهم وشوقهم لرؤيته وصعوبةِ فراقهم له.

فهل تاقت عيناك لرؤية نبيك حبيبك عليه الصلاة والسلام؟

وهل تاقت نفسك لمعرفة هيئتهِ ولباسه وتصرفاتهِ في يومه وليلته ﷺ؟

وهل تشعر بشوق في نفسك لتتعرف على واجباتك تجاهَهُ ﷺ، وتجاهَ أصحابه وقرابته وأهل بيته ﷺ؟

هذا الكتاب يصف الحبيب المصطفى ﷺ خَلقًا وخُلقًا حتى كأنك تراه، ويُشبع جانبًا من محبتك له ﷺ، ويُعينك على طاعته والاقتداء به.

وقد أعده الشيخ المؤلف الوالد رحمه الله على هذا النحو بهدف زرع محبته ﷺ، وإجلاله في قلوب الناشئة من الشباب والشابات وعموم المسلمين. وقد تشرفتُ بالاعتناء به على النحو الذي هو عليه منشورًا حتى يَعُمَّ نفعُه.

د. عبد الباري بن محمد علي مشعل

ربيع الآخر ١٤٢٧هـ

---

(١) رواه البخاري رقم (١٥) ومسلم رقم (٤٤).

الفصل الأول:
شمائله عليه الصلاة والسلام

الحامل على دراسة الشمائل:

الحامل على دراسة الشمائل قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٩]، وانطلاقًا من هذه الآية التي يدعو الله فيها الناس أن يعرفوا هذا النبي الكريم ﷺ:

١- للإيمان به: فمعرفةُ صفاته ورفعةِ قدره، وما خصه الله تعالى به من الكمالات الخَلقية والخُلُقية، تدفع إلى الإيمان به وتُقوي الإيمان به.

٢- ولطاعته واتباعه: فإن معرفة شمائله تدفع إلى الطاعة والاتباع، فإنه هو القدوة الحسنة والمثل الكامل والنموذج الأفضل.

٣- ولمحبته: فمعرفة صفاته وشمائله تدفع إلى حبه والزيادة في ذلك، وإن حبه أيضًا يدفع إلى التعرف على كمالاته وفضائله، وقد كان ﷺ يصف الأنبياء قبله ليتعرفوا عليهم ويزدادوا محبة لهم، فنحن أولى بالتعرف على رسول الله ﷺ وصفاته الخِلْقية والخُلُقية.

٤- وللاقتداء به: فنشرُ شمائله وسيرتِه وأحكامه وأخلاقِه وصفاته وأحوالِها من أهم واجبات المحبين لنبيهم ﷺ، ومن أهم ما يدفع للاقتداء به.

٥- ولإحياء القلوب بسماع أوصافه وأحواله، ففي ذلك حياة القلوب.

٦- ولأن قراءتَنا وسماعَنا لأوصافه وشمائله هو اتباع للسلف، حيث كان الصحابة ﷺ يسألون أمهات المؤمنين ﷺ عن أحواله في البيت وعباداته وأخلاقه، وكان ابن عباس ﷺ يسأل خالتَه ميمونةَ ﷺ، وابنُ عمر ﷺ يسأل أختَه حفصةَ ﷺ.

٧- ولتثبيت هذه الشمائل في أذهان المسلمين صغارًا وكبارًا، ذكورًا وإناثًا.

٨- ولأخذ الدروس المستفيضة من أحواله في البيت والمسجد والسوق، ومن أحواله زوجًا وأبًا، وصديقًا وشريكًا، وقائدًا وحاكمًا وموجهًا.

وقد أَلَّفَ الكثيرون في شمائله ﷺ فمن ذلك كتاب المواهب اللَّدُنّية للقَسْطَلاّنِي وشرح الزرقاني عليه، ومن ذلك كتاب الشمائل للترمذي، وكتب في هذا القاضي عياض كتابه العظيم: الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ.

يقول القاضي عياض: اعلم أيها المحب لهذا النبي الكريم، أن خصال الجلال والكمال في البشر نوعان:

ضروري دنيوي: اقتضته الجِبِلَّةُ وضرورة الحياة، ومكتسب ديني: وهو ما يُحْمَدُ فاعله ويُقَرِّبُ إلى الله زلفى.

فأما الضروري: فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب، مثل ما كان في جِبِلَّتِه ﷺ من كمال الخِلْقة، وجمالِ الصورة، وقوةِ العقل، وصحةِ الفهم، وفصاحةِ اللسان، وقوةِ الحواس والأعضاء، واعتدالِ الحركات، وشرفِ النسب، وعزة القوم، وكرمِ الأرض، ويلحق به ما تدعو ضرورة الحياة إليه من الغذاء والنوم، والملبس والمسكن، والمال والجاه.

وأما المكتسبة الأخروية: فسائر الأخلاق العَلِيَّة، والآدابِ الشرعية، من الدين والعلم والحِلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة والصمت والتُّؤَدَةِ والوقار والرحمة وحسن الأدب والمعاشرة، وأخواتِها، وهي التي يجمعها حُسْنُ الخُلُق.

فإذا نظرتَ إلى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة، وفي جِبِلّة الخِلْقة، وجدتَه ﷺ حائزًا لجميعها، محيطًا بشَتاتِ محاسنها.

[خِلقته ﷺ:]

فأما الصورةُ وجمالُها، وتناسبُ أعضائها في حسنها، فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك، مِنْ أنه ﷺ:

كان أَزْهَرَ اللونِ (نيِّرَ اللون أو حَسَنَه) أَدْعَجَ (شديد سواد الحَدَقَةِ مع سَعَةٍ فيها) أَنْجَلَ (واسع العين مع حُسْنٍ)، أشْكَلَ (في بياض عينه حُمْرَة)، أَهْدَبَ الأَشْفَارِ (طويل شعر الأجفان)، أَبْلَجَ (مُضِيء الوجه مُشْرِقَه).

أَزَجَّ (دقيق الحاجبين في طول)، أَقْنَى (مُرْتَفع قَصَبَةِ الأنف مع احْدِيدَابٍ يسيرٍ فيها)، أفلجَ (مُفَرَّجَ ما بين الثنايا والرَّباعِيَات)، مُدَوَّرَ الوجه، واسعَ الجبين، كَثَّ اللحية، تملأ صدره، سواءَ البطن، عظيم الصدر، عظيمَ المَنْكِبَيْن (المَنْكِبُ مَجْمَعُ رأس العَضُدِ مع الكتف)، ضخمَ العظام، عَبْلَ العَضُدَين (ضخم) والذراعين والأسافل، رَحْبَ الكفين والقدمين، سائلَ الأطراف (ممتد الأصابع)، أنورَ المُتَجَرَدِ (مُشْرق الجسد ونيِّره)، دقيقَ المَسْرَبَة (شعرٌ دقيقٌ من الصدر إلى البطن).

ليس بالطويل البائن (مفرط الطول) ولا القصيرِ المتردِّد، ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحدٌ يُنسب إلى الطول إلا طالَه ﷺ، رَجِلَ الشَّعْرِ، إذا افْتَرَّ ضاحكًا افْتَرَّ عن مثل سَنَا البَرْق، وعن مثل حَبِّ الغمام، إذا تكلم رُئي كالنور يخرج من بين ثناياه، أحسن الناس عُنُقًا، ليس بِمُطَهَّمٍ ولا مُكَلْثَمٍ ، متماسِكَ البَدَن، ضَرْبَ اللحم. ا هـ والمطهم: (مدور الوجه جدًا). المُكَلثم: (العظيم الوجنات).

من أحاديث الشمائل:

عن البراء رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أحسنَ الناس وجهًا، وأحسنَهُ خَلْقًا، ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير. متفق عليه [١].

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير، ولا بالأبيض الأَمْهَقِ (الكريه البياض كلون الجص أي لم يكن نَيِّرَ البياض) ولا بالآدم (السمرة الشديدة) ولا بالجَعْد القَطَطِ (الشديد الجعودة)، ولا بالسَّبْطِ (مسترسل ضد الجعودة، وكأنه يريد أنه وسط بينهما) متفق عليه [٢].

وعن البراء رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ رَجُلًا مربوعًا (ليس بالطول ولا القصير). بَعِيدَ ما بين المَنْكِبَيْن، له شعر يبلغ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ، رأيته في حُلّةٍ حمراءَ، لم أر شيئًا قط أحسنَ منه. متفق عليه [٣].

---

(١) البخاري رقم (٣٥٤٩)، ومسلم (٢٣٣٧).

(٢) البخاري (٣٥٤٨)، ومسلم (٢٣٤٧).

(٣) البخاري (٣٥٥١)، ومسلم (٢٣٣٧).

وعن الحسن بن علي ﷺ قال: سألت خالي هندَ بنَ أبي هالةَ -وكان وَصَّافًا- عن حِلْية النبي ﷺ، وأنا أشتهي أن يصفَ لي منها شيئًا أتعلق به، فقال:

كان رسول الله ﷺ فَخْمًا مُفَخَّمًا (عظيمًا معظّمًا في الصّدور والعيون)، يتلألأ وجهُه تَلأْلُؤَ القمرِ ليلةَ البدر، أطولَ من المربوع، وأقصرَ من المُشَذَّب (الطويل البائن)، عظيمَ الهامَة، رَجِل الشعر، إن انفرقت عقيقتُه (شَعْرُه سُمِّيَ عقيقة تشبيهًا بشعر المولود) فَرَقها، وإلا فلا يتجاوز شعرُه شَحْمَةَ أذنيه إذا هو وَفَّرَهُ، أزهرَ اللون، واسعَ الجبين، أَزَجَّ الحواجب (الزَّجَجُ تقوُّسُ الحاجب مع طولٍ في طرفه) سوابغَ في غير قَرَنٍ، بينهما عِرْقٌ يُدِرُّه الغضبُ، أَقْنَى العِرْنِينِ (طويل الأنف) له نور يعلوه، يحسبُه مَنْ لم يتأملْه أَشَمَّ (الشَّمَمُ ارتفاع القصبة مع استواء أعلاها وإشراف الأرنبة قليلًا) كثَّ اللحيةِ، سهلَ الخدين، ضليعَ الفم (واسعه وعظيمَه)، أشنَبَ، مفلَّجَ الأسنان، دقيقَ المَسْرُبَةِ (دقيق الشعر النازل من الصدر إلى أسفل)، كأنّ عنقَه جِيدُ دُميةٍ في صفاء الفضة.

معتدلُ الخَلْق، بادنٌ متماسك، سواءٌ البطنُ والصدرُ، بَعِيدُ ما بين المَنْكِبين، ضخمُ الكراديس (الأعضاء)، أنورُ المتجرَّد، موصولُ ما بين اللَّبّةِ والسرة بشعر يجري كالخط، عاري الثَّدْيَيْن والبطنِ مما سوى ذلك، أشعرُ الذراعين والمَنْكِبين وأعالي الصدر، طويلُ الزَّنْدَيْن، رَحْبُ الراحة، شَثْنُ الكفين والقدمين (غليظَهُمَا)، سائلُ الأطراف (طويل الأصابع)، خُمْصانُ الأَخْمَصَيْن (الأخمص من القدم: الموضع الذي لا يلصق بالأرض عند الوطء)، مسيحُ القدمين ينبو عنهما الماء، إذا زال زال قَلْعًا (يرفع رجليه من الأرض رفعًا بقوة)،

يخطو تَكَفِّيًا، ويمشي هَوْنًا، ذريعُ المِشْية، إذا مشى كأنما ينحط من صَبَبٍ، وإذا التفَتَ التفَتَ جميعًا، خافضُ الطَّرْف، نظرُه إلى الأرض أطولُ من نظره إلى السماء، جُلُّ نظره الملاحظةُ، يسوق أصحابه (يُقَدِّ مهم أمامه ويمشي خلفهم تواضعًا)، ويبدأ من لقي بالسلام. رواه الترمذي في الشمائل[1].

وعن جابر بن سَمُرةَ رضي الله عنه أيضًا قال: كان في ساقَيْ رسول الله ﷺ حُمُوشةٌ أي دِقّة ولطافة متناسبة مع سائر أعضائه وكان لا يضحك إلا تبسمًا، وكنتُ إذا نظرتُ إليه قلتُ: أكحلَ العينين، وليس بأكحلَ. رواه الترمذي[2].

وعن أنس رضي الله عنه قال: ما شَمِمْتُ عنبرًا قط ولا مِسْكًا ولا شيئًا أطيبَ من ريح رسول الله ﷺ، ولا مَسِسْتُ شيئًا قط ديباجًا ولا حريرًا ألينَ مسًّا من رسول الله ﷺ. رواه مسلم[3].

وقال علي رضي الله عنه في وصفه ﷺ: من رآه بديهةً هابه، ومن خالطه معرفةً أحبه، يقول ناعِتُه: لم أر قبله ولا بعده مثله. رواه الترمذي[4].

---

(١) الشمائل للترمذي رقم (٧).

(٢) جامع الترمذي رقم (٣٦٤٥) وقال حسن غريب.

(٣) رواه مسلم (٢٣٣٠).

(٤) جامع الترمذي (٣٦٣٨) وقال: ليس إسناده بمتصل.

شعره وشيبه وترجله وخضابه:

عن قتادة قال: قلت لأنس بن مالك: كيف كان شعرُ رسول الله ﷺ؟ قال: كان شعرًا رَجْلًا ليس بالجعد ولا السَّبْط (مسترسل)، بين أذنيه وعاتِقِه. متفق عليه[1].

وفي رواية لمسلم: كان يضرب شعرُه مَنْكِبَيْهِ.

وفي رواية لمسلم: كان شعرُ رسول الله ﷺ لأنصافِ أذنيه.

وقد اختلف حال ترجله شعرًا ﷺ، فمرة فَرَقَ، ومرةً سَدَلَ، ومرة جعله غَدَائِرَ؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان أهلُ الكتاب يسدِلُون أشعارَهم، وكان المشركون يفرُقُون رءوسَهم، وكان رسول الله ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر به، فسدل رسول الله ﷺ ناصيتَه، ثم فَرَقَ بعدُ. متفق عليه[2].

وعن أم هانئ رضي الله عنها قالت: قدم رسول الله ﷺ مكةَ وله أربعُ غدائرَ. رواه أبو داود والترمذي وحسنه [3].

وجاء في مسلم[4] عن أنس رضي الله عنه قال: يُكره أن ينتف الرجلُ الشعرةَ البيضاءَ من رأسه ولحيته، قال: ولم يَخْتَضِبْ رسول الله ﷺ، إنما كان البياضُ في

(١) البخاري رقم (٥٩٠٦)، ومسلم رقم (٢٣٣٨).
(٢) البخاري ٣٥٥٨، ومسلم ٢٣٣٦.
(٣) أبو داود (٣٦٥٩)، الترمذي (١٧٨١) و(١٧٨١م).
(٤) صحيح مسلم (٢٣٤١).

عنفقته، وفي الصُّدْغَيْن، وفي الرأس نَبْذٌ. وفي رواية أحمد[1]: نَبْذٌ يسير لا يكاد يُرى.

وقد ورد تحديد عدد الشعرات البيض في رأسه ولحيته ﷺ، ففي صحيح البخاري[2] عن أنس قال: وقُبض ﷺ وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرةً بيضاء.

وقد حَرَصَ الصحابة ﷺ على تكريم شعره واقتنائه والاحتفاظ به، وعدم وقوع ذلك على الأرض، كما جاء في مسلم[3] عن أنس ﷺ: لقد رأيت رسولَ الله ﷺ والحلاقُ يَحلِقُه، وأطاف به أصحابُه فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل. ا.هـ. وأقرهم ﷺ على ذلك.

وحديث تقسيم شعره ﷺ بين الصحابة ﷺ مشهور، وهو في صحيح مسلم[4].

طيب عرقه وتطيّبه:

لقد كان رسول الله ﷺ أطيبَ الخَلْق رائحةً وأزكاهُم، بل كان عَرَقُه أطيبَ الطِّيبِ لا يُدانيه مسكٌ ولا عنبر.

---

(١) مسند أحمد (٣/٢٦٦).
(٢) صحيح البخاري (٣٥٤٧).
(٣) صحيح مسلم (٢٣٢٥).
(٤) صحيح مسلم (١٣٠٥).

روى الشيخان[١] عن أنس ﷺ قال: ما شَمِمْتُ عنبرًا قط ولا مسكًا ولا شيئًا أطيبَ من ريحِ رسول الله ﷺ.

وفي مسلم[٢] عن أنس ﷺ قال: دخل علينا النبي ﷺ فَقَال[٣] عندنا، فعَرِقَ، وجاءت أمي بقارورةٍ فجعلت تسلُتُ العرقَ فيها، فاستيقظ النبي ﷺ فقال: ((يا أمَّ سُليم، ما هذا الذي تصنعين؟)) قالت: هذا عرَقُك نجعله في طِيبِنا، وهو من أطيبِ الطيب.

ومع ذلك فقد كان ﷺ يتطيّبُ، ويحث على الطيب، ولا يردُّه إن أُهدِيَ إليه[٤].

وفي الحديث: ((حُبِّبَ إلَيَّ من الدنيا النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة)) [٥].

وجاء في شمائله: كان يصافح المصافِحَ، فيظَلُّ يومَه يجدُ ريحَها، يضع يده على رأس الصبي فَيُعْرَفُ من بين الصبيان بريحها.

وروى البخاري في تاريخه الكبير عن جابر ﷺ: لم يكن النبي ﷺ يمر في طريق فيتبعُه أحدٌ إلا عُرف أنه سلكه، من طِيبِه. ا هـ من نور اليقين للخضري.

---

(١) البخاري (١٩٧٣) مسلم (٢٣٣٠).

(٢) صحيح مسلم (٢٣٣١).

(٣) أي نام القيلولة.

(٤) صحيح البخاري رقم (٢٥٨٢).

(٥) النسائي رقم (٣٩٤٠)، أحمد (٢٨٥/٣).

خاتم النبوة:

لقد جاء في الأحاديث الصحيحة ذِكْرُ خَاتَمِ النبوة بين كتفيه ﷺ.

روى البخاري ومسلم[1] عن السائبِ بن يزيدَ رضي الله عنه قال: ذهَبَتْ بي خالتي إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إنّ ابنَ أختي وجِعٌ. فمسح رأسي ودَعَا لي بالبركة، ثم توضأ، فشربتُ من وَضوئه، ثم قمتُ خلفَ ظهرِه، فنظرتُ إلى خاتَمِه بين كتفيه مثلَ زرِّ الحَجَلَة (بيت كالقُبّة يُسْتَر بالثياب ويكون له أزرار).

وروى مسلم والترمذي[2] عن جابر بن سَمُرة رضي الله عنه قال: ... ورأيتُ الخاتَمَ عند كتفه مثل بيضة الحمامة تُشبه جسدَه.

ولفظ الترمذي: كان خاتم رسول الله ﷺ - يعني الذي عند كتفيه — غدةً حمراءَ مثلَ بيضة الحمامة.

لباسه ﷺ وما يتعلق به:

قال القاضي عِيَاضٌ رحمه الله تعالى في كتابه الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ: واقتصر ﷺ من نفقتِه ومَلْبَسِه ومسكنِه على ما تدعو ضرورتُه إليه، وزَهِدَ فيما سواه، فكان يَلبَسُ ما وجدَه، فيلبَسُ في الغالبِ الشملةَ والكساءَ الخشِنَ والبُرْدَ الغليظ، ويَقْسِم على مَن حضَرَه أقبيةَ الديباج المخَوَّصَةَ

(١) البخاري رقم (١٩٠)، ومسلم رقم (٢٣٤٥).

(٢) مسلم (٢٣٤٤)، والترمذي (٣٦٤٤).

بالذهب[1]، ويَرْفع لمن لم يحضر، إذ المباهاة في الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة، وهي من سمات النساء.

والمحمود منها: نقاوةُ الثوب، والتوسطُ في جنسه، وكونُه لُبْسُ مِثْلِه، غيرَ مُسْقطٍ لمروءة جنسه، مما لا يؤدي إلى الشهرة في الطرفين. ا هـ الشفاء.

وقد اختلف لباسُ النبي ﷺ لونًا وجنسًا وصفةً، حسب الموجود والظروف، فقد لبس الأبيضَ والأخضرَ والأحمر المخطط والأسود، ولبس الصوف والقُطنَ وغيرَهما، ولبس البُرْدَ والقميصَ والشملة وغيرها.

وكان ﷺ يعتني بنظافة ثيابه، ويلبَسُ أحسنَ ثيابه في المناسبات، ويحث أصحابه رضي الله عنهم على ذلك، من غير إسراف ولا مَخِيْلَة، وينهى عن لُبْس الحرير والديباج وما فيه خُيلاءُ وكِبْرٌ، ويحب الساتر من اللباس؛ لأنه المقصود، ويكره ما يفضي إلى الكِبْرِ والخيلاء والشهرة.

فعن أم سلَمةَ رضي الله عنها قالت: كان أَحَبَّ الثيابِ إلى رسول الله ﷺ القميصُ. رواه أبو داود والترمذي وحسنه [2].

وعن معاويةَ بن قُرّةَ عن أبيه رضي الله عنه قال: أتيتُ رسولَ الله ﷺ في رَهْطٍ من مُزَينةَ فبايعناه وإنّ قميصَه لَمُطْلَقُ الأزرار، قال: فبايعته، ثم أدخلتُ يَدَيَّ في جيبِ قميصِه، فَمَسِسْتُ الخاتَمَ. رواه أبو داود والترمذي في الشمائل [3].

---

(١) هذا قبل النسخ.

(٢) أبو داود (٣٥٠٧)، الترمذي (١٧٦٢).

(٣) أبو داود (٣٥٦٠)، الشمائل (٦٠).

وفي حديث المغيرةِ بنِ شُعبةَ رضي الله عنه: فتوضأ ﷺ وعليه جُبّةٌ شامية، فَمَضْمَضَ واستنشق وغسل وجهه، فذهب يخرجُ يديه من كميه، فكانا ضَيّقَيْنِ، فأخرجهما مِنْ تحتُ فغسلهما... متفق عليه [1].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كانت للنبي ﷺ جُبّةٌ يَلْبَسُها في العيدينِ ويومَ الجمعة. رواه ابن خزيمة[2].

وروى سَمُرَةُ بن جُنْدَبٍ رضي الله عنه قولَ النبي ﷺ: ((الْبَسُوا من ثيابِكمُ البياضَ، فإنها أظهرُ وأطيبُ، وكفنوا فيها موتاكم)). رواه النسائي والترمذي وصححه[3].

وعن أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية رضي الله عنها قالت: كان كُمُّ يد رسول الله ﷺ إلى الرُّسْغ. رواه أبو داود والترمذي وحسنه[4].

وأما طوله فقد كان فوق الكعبين، ونهى أن يكون الإزارُ أسفلَ من الكعبين، ولا حَقَّ للإزار في الكعبين. رواه الترمذي وصححه[5].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا اسْتَجَدَّ ثوبًا سَمّاه باسمه عِمامةً أو قميصًا أو رداءً، ثم يقول: ((اللهم لك الحمد، أنت

---

(١) البخاري (٢٩١٨)، مسلم (٢٧٤).
(٢)ابن خزيمة رقم (١٧٦٦).
(٣) النسائي (١٨٩٦)، الترمذي (٢٨١٠).
(٤) أبو داود (٣٥٠٩)، الترمذي (١٧٦٥).
(٥) الترمذي (١٧٨٣).

كسوتَنِيهِ، أسألك خيرَه وخيرَ ما صُنع له، وأعوذُ بك من شره وشرِّ ما صُنع له)). رواه الترمذي وحسنه[1].

وفي حديث عمرَ رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: ((من لبس ثوبًا جديدًا فقال: الحمد لله الذي كساني ما أُوَارِي به عورتي، وأتجمّلُ به في حياتي، ثم عَمَد إلى الثوب الذي أَخْلَقَ فتصدق به، كان في كنف الله، وفي حفظ الله، وفي ستر الله، حيًا وميتًا)). قالها ثلاثًا. رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم[2].

ويحسن أن نذكر ما قاله النووي في الإزار: المستحب أن يكون الإزار إلى نصف الساق، والجائز بلا كراهة ما تحته إلى الكعبين، وما نزل عن الكعبين ممنوعٌ منْعَ تحريم إن كان للخيلاء، وإلا فَمَنْعَ تنزيه؛ لأن الأحاديث الواردة في الزجر عن الإسبال مطلقةٌ، فيجب تقييدها بالإسبال للخيلاء. ا هـ.

كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ بأُذُنَيَّ هاتينِ يقول: ((من جرّ إزارَه لا يريد بذلك إلا المَخِيلةَ فإن الله لا ينظر إليه يوم القيامة)). متفق عليه[3].

---

(١) الترمذي (١٧٦٧).

(٢) الترمذي (٣٥٦٠)، وقال: حديث غريب، وابن ماجه رقم (٣٥٥٧)، والحاكم (٤/٢١٤).

(٣) البخاري (٣٦٦٥)، ومسلم (٢٠٨٥).

العِمامة:

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل يومَ فتحِ مكة وعليه عِمامةٌ سوداءُ، بغير إحرام[١].

وعن عمرو بن حُريث رضي الله عنه قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ على المنبر وعليه عِمامة سوداء، أرخى طرفَيْها بين كتفيه[٢].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا اعْتَمَّ سَدَلَ عِمَامَته بين كتفيه. قال نافع: وكان ابن عمر يفعل ذلك. أخرجه الترمذي وحسنه[٣].

وسئل ابن عمر رضي الله عنهما: كيف كان يعتم رسول الله ﷺ؟ قال: كان يدير العِمامةَ على رأسه، ويَغْرِزها من ورائه، ويُرْخي لها ذُؤابةً بين كتفيه[٤].

ولم يكن له ﷺ عمامة واحدة، كما اختلف طول عِمامته ﷺ، وليس هناك أمر ثابت في تحديد طولها.

ونقل بعض العلماء كلامًا عن النووي أنه كان له ﷺ عِمامةٌ قصيرة، وعِمامةٌ طويلة، القصيرةُ سبعة أذرع، والطويلة اثنا عشر ذراعًا. قال ملا علي

---

(١) رواه مسلم (١٣٥٨).

(٢) رواه مسلم (١٣٥٩).

(٣) الترمذي (١٧٣٦).

(٤) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٢٣/٥: رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح، خلا أبا عبد السلام، وهو ثقة. ا هـ.

القاري: ظاهر كلام المدْخَل أن عِمامَته كانت سبعةَ أذرع مطلقًا، والله تعالى أعلم.

وكان غالبُ لُبسه العِمامةَ على القَلَنْسُوَةِ[1]، وَيلبَسُ العمائمَ بغير القلانس، وكان يَلْبَسُ القَلنسوة أحيانًا بغير عِمامة.

وكان ﷺ يَتَقَنّعُ أحيانًا، وخاصة في وقت الظهيرة إذا كان الجو حارًا، وفي حديث الهجرة: قال قائل لأبي بكر رضي الله عنه: هذا رسولُ الله متقنعًا.. رواه البخاري[2].

وأخرج البخاري[3] أن النبي ﷺ لما مَرَّ بالحِجْر قال: ((لا تدخلوا مساكنَ الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكِينَ، أن يُصيبَكم ما أصابهم))، ثم تقنع بردائه وهو على الرَّحْل.

النعل:

عن أنس رضي الله عنه أن نعل النبي ﷺ كان لها قِبالان. رواه البخاري [4].

وفي مسلم عن جابر رضي الله عنه مرفوعًا: ((استكثروا من النعال، فإن الرجل لا يزال راكبًا ما انْتَعَلَ))[5].

---

(١) القلنسوة هي القبعة التي تلف عليها العمامة.
(٢) البخاري رقم (٣٩٠٦).
(٣) البخاري رقم (٣٣٨٠).
(٤) البخاري (٥٨٥٧).
(٥) مسلم (٢٠٩٦).

ونهى النبي ﷺ عن المشي بنعلٍ واحدة، فإما أن يَخْلَعَهما جميعًا، أو يَلْبَسَهما جميعًا. كما في حديث أبي هريرة ﷺ عند الشيخين [١].

ونهى النبي ﷺ أن ينتعل الرجل قائمًا. رواه عدد من الصحابة ﷺ [٢]

وكان ﷺ ينتعل باليمنى ويخلع باليسرى. كما في حديث عائشة ﷺ: كان النبي ﷺ يعجبه التَّيَمُّنُ في تنعله وترجله وطهوره، وفي شأنه كله. متفق عليه [٣].

الخف:

عن بُريدةَ بن الحُصيب ﷺ أن النجاشيَّ أهدى للنبي ﷺ خُفّيْنِ أسودينِ ساذَجَيْن (لَمَ يُخالِط سوادَهما لونٌ آخر)، فلبِسهما، ثم توضأ ومسح عليهما. رواه الترمذي وحسنه[٤].

وعن المغيرة بن شعبة ﷺ قال: أهدى دِحْيةُ الكلبي للنبي ﷺ خفين، فلبسهما. رواه الترمذي وحسنه[٥].

ومَسْحُ النبي ﷺ على الخفين ثابت في الصحيحين وغيرهما عن عدد من الصحابة ﷺ يبلغون ثمانين.

---

(١) البخاري (٥٨٥٥)، ومسلم (٢٠٩٧).
(٢) رواه الترمذي (١٧٧٥)، وابن ماجه (٣٦١٨) عن أبي هريرة.
(٣) البخاري (١٦٨)، ومسلم (٢٦٨).
(٤) جامع الترمذي رقم (٢٨٢٠).
(٥) جامع الترمذي رقم (١٧٦٩).

ومَسَحَ ﷺ أعلى الخف وأسفلَه. رواه الترمذي وضعفه[١]. ونهى ﷺ أن يمشيَ في خف واحد. رواه مسلم[٢].

فراشه ﷺ:

أخذ منه ﷺ ما تدعو إليه الحاجة، ولم يَزِدْ فيه؛ لأن الإكثار منه رفاهيةٌ وإسراف وتبذير. فقد روى مسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له: ((فراشٌ للرجل، وفراش لامرأته، والثالث للضيف، والرابع للشيطان))[٣].

قال النووي في شرح مسلم: قال العلماء: معناه أن ما زاد على الحاجة فاتخاذُه إنما هو للمباهاة والاختيال، والالتهاء بزينة الدنيا، وما كان بهذه الصفة فهو مذموم، وكل مذموم يُضاف إلى الشيطان؛ لأنه يرتضيه، ويوسوس به، ويُحَسّنه ويساعد عليه. ا هـ.

وأخرج الشيخان[٤] عن عائشة رضي الله عنها قالت: إنما كان فراشُ رسول الله ﷺ الذي ينام عليه أدَمًا حَشْوُه لِيفٌ.

وفي رواية: كانت وسادةُ رسول الله ﷺ التي يتكئ عليها من أَدَمٍ حشوها لِيفٌ.

---

(١) الترمذي (٩٧).

(٢) مسلم (٢٠٩٩).

(٣) مسلم (٢٠٨٤).

(٤) البخاري (٦٤٥٦)، مسلم (٢٠٨٢).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: نام رسول الله ﷺ على حصير، فقام وقد أَثّر في جنبه، فقلنا: يا رسول الله، لو اتخذنا لك وِطاءً؟ فقال: ((ما لي وللدنيا! ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرةٍ ثم راح وتركها)). رواه الترمذي وقال: حسن صحيح[1].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ... فدخلت على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على حصير، فجلستُ، فأَدْنَى عليه إزارَه، وليس عليه غيره، وإذا الحصير قد أثر في جنبه، فنظرتُ ببصري في خزانة رسول الله ﷺ، فإذا أنا بقَبْضةٍ من شعير نحوِ الصاع، ومثلِها قَرَظًا (والقَرَظ: ورق شجر السَّلَم يستعمل في الدِّباغ) في ناحية الغرفة، وإذا أفيق (الأفيق: الجلد الذي لم يتم دباغُه) معلق، فابتدرَتْ عيناىَ، فقال: ((ما يبكيك يا ابن الخطاب؟)) فقلت: يا نبي الله، وما لي لا أبكي، وهذا الحصير قد أثر في جنبك، وهذه خِزانتُك لا أرى فيها إلا ما أرى، وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار، وأنت رسول الله وصفوته، وهذه خزانتك. فقال: ((يا ابنَ الخطاب، ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة، ولهم الدنيا؟)) قلت: بلى... [2]

وأخرج أحمد والنسائي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان لرسول الله ﷺ حصيرةٌ يبسطها بالنهار، ويَحْتَجِرُها بالليل، فيصلي فيها.. [3]

---

(١) جامع الترمذي (٢٣٧٧).

(٢) رواه البخاري (٤٩١٣)، ومسلم (١٤٧٩) في قصة طويلة.

(٣) مسند أحمد (٦/٤٠)، وسنن النسائي (٧٦٢).

خاتَمُه ﷺ:

كان النبي ﷺ قد اتخذ خاتمًا من ذهب، ثم خلعه بعد أن اتخذ الناس مثلَه، ثم اتخذ بعده خاتمًا من فضة، ونهى عن لُبس خاتَمِ الذهب، وحَرّمه على الرجال.

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ اصطنع خاتمًا من ذهب، فكان يجعلُ فَصَّهُ من باطن كفه إذا لَبِسَه، فصنع الناس، ثم إنه جلس على المنبر فنزعه، فقال: ((إني كنت أَلْبَسُ هذا الخاتَمَ، وأجعلُ فَصَّهُ من داخِلٍ)). فرمى به، ثم قال: ((والله لا أَلْبَسُه أبدًا)). فنبذ الناس خواتِيمَهم. متفق عليه[1].

وفي رواية لمسلم: وجعله في يده اليمنى.

وأخرج مسلم[2] عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ رأى خاتمًا من ذهبٍ في يدِ رجلٍ، فنزعه فطرحه، وقال: ((يَعْمِدُ أحدُكم إلى جمرةٍ من نارٍ فيجعَلُها في يده!)) فقيل للرجل -بعدما ذهب رسول الله ﷺ-: خُذْ خاتَمَك، انتفع به. قال: لا والله، لا آخذُه أبدًا وقد طرحه رسول الله ﷺ.

وكان خاتَمُه من وَرِقٍ بعدما نزع خاتَمَ الذهب، وهو الذي تداوله الخلفاء حتى سقط من يد عثمان رضي الله عنه في بئر أَرِيسٍ، وكان نقشُه ((محمدٌ رسولُ الله))[3].

---

(١) البخاري (٦٦٥١)، مسلم (٢٠٩١).

(٢) رواه مسلم (٢٠٩٠).

(٣) كما في البخاري (٥٨٧٣)، ومسلم (٢٠٩١).

وكان نقش الخاتم ثلاثة أسطر: ((محمدٌ)) سطر، و((رسولُ)) سطر، و((اللهِ)) سطر.

وسبب اتخاذه أنه ﷺ لما أراد أن يكتب إلى الروم قالوا: إنهم لا يقرءون كتابًا إلا مختومًا. فاتخذَ ﷺ خاتَمًا من فضة نَقْشُه: محمدٌ رسولُ الله. أخرجه الشيخان من حديث أنس رضي الله عنه[1].

ومكانُ لُبْسِه الخِنْصِرُ في يده اليمنى أو اليسرى، كما جاء عن أنس رضي الله عنه في الصحيحين[2]. وفَصُّه مما يلي كفَّه، كما في حديث ابن عمر السابق.

ونهى النبي ﷺ عن لبس الحديد والنحاس، وعن لبس الخاتَمِ في السّبّابة والوسطى.

فعن بُريدةَ بنِ الحُصيب رضي الله عنه أنه ﷺ رأى رجلًا جاءه وعليه خاتَمٌ من شَبَهٍ -وعند الترمذي من صُفْرٍ- فقال: ((ما لي أجد منك ريحَ الأصنام؟)) فطرحه، ثم جاء وعليه خاتم من حديد، فقال: ((مالي أرى عليك حِليةَ أهل النار؟)) فطرحه وقال: من أي شيءٍ أتخذه؟ قال: ((اتخذه من وَرِقٍ، ولا تُتِمَّه مثقالًا)). رواه أبو داود والترمذي وابن حبان[3].

---

(١) البخاري (٦٥)، ومسلم (٢٠٩٢).

(٢) البخاري (٥٨٧٤)، ومسلم (٢٠٩٥).

(٣) أبو داود (٣٦٨٧)، والترمذي (١٧٨٥) وقال: غريب. وصحيح ابن حبان (٥٤٨٨).
ورواه أحمد في مسنده ١٦٣/٢، والبخاري في الأدب المفرد عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٥١/٥: أحد إسنادَيْ أحمد رجاله ثقات.

لكن ورد عن الشيخين في قصة الواهبة نفسها وفيه: ((التمس ولو خاتمًا من حديد))[١].

وأخرج مسلم وأبو داود والترمذي عن علي ﷺ قال: نهاني رسول الله ﷺ أن أتختم في هذه أو هذه. وأومأ إلى السبابة والوسطى. ولفظ مسلم: فأومأ إلى الوسطى والتي تليها[٢].

ولم يُرْوَ تختمه بالعقيق بحديث صحيح، وقد أفرد أبو داود في سننه كتابًا خاصًا سماه: كتاب الخاتَم.

وكان ﷺ إذا دخل الخلاء نزع خاتَمَه. رواه النسائي والترمذي وصححه[٣].

مَشْيُه وجلوسه ونومه ﷺ:

مشيه ﷺ:

كان إذا مشى يَجْهَدُ غيرُه في اللُّحوق به ﷺ وهو غيرُ مكترث ولا مُجْهِدٍ نَفْسَه.

وروى الترمذي وصححه عن علي ﷺ قال: لم يكن رسول الله ﷺ بالطويل ولا بالقصير... إذا مشى تَكَفّأ تَكَفُّؤًا كأنما انْحَطّ من صَبَبٍ[٤].

---

(١) البخاري (٥٠٢٩)، ومسلم (١٤٢٥).

(٢) مسلم (٢٠٧٨)، وأبو داود (٣٦٨٩)، والترمذي (١٧٨٦).

(٣) سنن النسائي (٥٢١٣) وجامع الترمذي (١٧٤٦) وسنن ابن ماجه (٣٠٣).

(٤) جامع الترمذي (٣٦٣٧).

وفي حديث الحسن بن علي ﷺ، عن خاله هند بن أبي هالة ﷺ، في وصف النبي ﷺ: وإذا التفَتَ التفَتَ جميعًا.

جلوسه ﷺ:

عن قَيْلةَ بنتِ مَخْرَمةَ ﷺ أنها رأتْ رسولَ الله ﷺ في المسجد وهو قاعد القُرْفُصاءَ، قالت: فلما رأيتُ رسولَ الله ﷺ المُتَخَشِّعَ في الجِلْسة أُرْعِدْتُ من الفَرَق، فقال له جليسه: يا رسول الله، أُرْعِدَتِ المسكينة! فقال ﷺ، ولم ينظر إلي، وأنا عند ظهره: ((يا مسكينة! عليك السكينة)). فلما قاله ﷺ أذهب الله ما كان دَخَلَ قلبي من الرعب.

رواه الترمذي في الشمائل وأبو داود[1].

وعن جابر بن سَمُرةَ ﷺ قال: كان النبي ﷺ إذا صلى الفجر تربع في مجلسه حتى تطلع الشمسُ حسناءَ. رواه أبو داود[2].

وعن جابر بن سُليم ﷺ قال: أتيتُ النبي ﷺ وهو مُحْتَبٍ بشَمْلةٍ، وقد وقع هُدْبُها على قدميه. رواه أبو داود وأحمد[3].

والشملة: الكساء الصغير يُؤْتَزر به.

---

(١) الشمائل رقم (١٢٨) وأبو داود (٤٢٠٧).
(٢) سنن أبي داود (٤٢١٠).
(٣) مسند أحمد (٦٣/٥)، وسنن أبي داود (٣٥٥٣).

وكان ﷺ يجلس على الأرض، ويأكل على الأرض، ويَعْتَقِلُ الشاةَ[1]، ويُجيب دعوة المملوك على خُبْزِ الشعير. كما في حديث ابن عباس عند الطبراني[2].

وكان ﷺ إذا جلس يتحدثُ يخلَعُ نعلَيه. رواه البيهقي في شعب الإيمان عن أنس رضي الله عنه [3].

وكان إذا جلس يتحدث يُكثر أن يرفع طَرْفَهُ إلى السماء. رواه أبو داود عن عبد الله بن سَلاَم رضي الله عنه[4].

وكان لا يقوم من مجلس إلا قال: ((سبحانك اللهم ربي وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك)). وقال: ((لا يقولهن أحد حيث يقوم من مجلسه إلا غفر له ما كان منه في ذلك المجلس)). رواه النسائي في السنن الكبرى والحاكم من حديث عائشة رضي الله عنها، قال الحاكم: صحيح الإسناد[5].

وكان ﷺ ينهى أن يجلس الرجل على أَلْيتِه ويعتمدَ على يديه خلفَ ظهره، كما في حديث الشَّريدِ بنِ سُويد رضي الله عنه قال: مَرّ بي رسولُ الله ﷺ وأنا

(١) يمسك الشاة ليحلبها بنفسه ﷺ.

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٠/٩: وإسناده حسن.

(٣) وسنده ضعيف، كما في فيض القدير ١١٩/٥.

(٤) أبو داود (٤١٩٧).

(٥) النسائي في السنن الكبرى (١٠٦/٦)، (١٠٢٣١) والحاكم ٤٩٦/١.

جالسٌ هكذا، وقد وَضعتُ يدي اليسرى خلف ظهري، واتكأت على أَلْية يدي[١]، فقال: ((أتقعدُ قِعْدةَ المغضوب عليهم!)) رواه أبو داود[٢].

اتِّكاؤه ﷺ:

في حديث أكبر الكبائر: وكان متكئًا فجلس. رواه البخاري ومسلم[٣].

وفي حديث ذي اليَدَيْن: وقام إلى خشبةٍ معروضةٍ في المسجد، فاتكأ عليها كأنه غضبانُ، ووضع يده اليمنى على اليسرى، وشبك بين أصابعه، ووضع خده الأيمنَ على ظهر كفه اليسرى... رواه البخاري ومسلم. [٤]

وفي حديث طويل عن عمر رضي الله عنه: .... متكئٌ على وِسادةٍ من أَدَم حَشْوُها لِيفٌ، فسلّمتُ عليه...رواه البخاري ومسلم [٥].

وعن أبي جُحيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أما أنا فلا آكل متكئًا)). رواه البخاري والترمذي. [٦]

---

(١) أي ألية يدي اليمنى. وأَلْية الكف: أصل الإبهام وما تحته.

(٢) أبو داود (٤٢٠٨).

(٣) البخاري (٥٩٧٦)، مسلم (٨٧).

(٤) البخاري (٤٨٢) ومسلم (٥٧٣).

(٥) رواه البخاري (٥٣٩٨)، ومسلم (١٤٧٩).

(٦) البخاري (٥٣٩٨) والترمذي (١٨٣٠) واللفظ له.

نومه ﷺ:

١- أخرج البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا أَوَى إلى فراشه نام على شِقّه الأيمنِ، ثم قال: ((اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهتُ وجهي إليك، وفوضتُ أمري إليك، وألجأتُ ظهري إليك، رغبةً ورهبةً إليك، لا مَلْجَأَ ولا مَنْجَا منك إلا إليك، آمنتُ بكتابك الذي أنزلتَ، ونبيِّك الذي أرسلتَ)). وقال رسول الله ﷺ: ((من قالهنّ ثم مات تحتَ ليلته مات على الفطرة))[١].

٢- وأخرج البخاري عن حذيفة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا أخذ مَضْجَعَه من الليل وضع يده تحت خده، ثم يقول: ((اللهم باسمِك أموتُ وأَحْيا)). وإذا استيقظ قال: ((الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا، وإليه النشور))[٢].

٣- وأخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا أَوَى إلى فراشِه كلَّ ليلة جَمَعَ كفيه، ثم نفث فيهما فقرأ فيهما ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أَقْبَلَ من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات[٣].

---

(١) البخاري (٦٣١٥).

(٢) البخاري (٦٣١٤).

(٣) البخاري (٥٠١٨).

وجاء في أحاديث كثيرة صحيحة أنه ﷺ لا ينام حتى يقرأ الزمر وبني إسرائيل، وحتى يقرأ المُسَبِّحَات[1]، ويقول: ((إنّ فيهن آيةً خيرٌ من ألف آية)) وحتى يقرأ آية الكرسي، وأواخر البقرة، و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

٤- أخرج الشيخان[2] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ ((إذا أَوَى أحدكم إلى فراشه فَلْينفُضْ فراشه بدَاخِلة إزارِه، ولْيُسَمِّ الله، فإنه لا يدري ما خَلَفَه عليه، ثم يقول: باسمك ربي وضعتُ جنبي، وبك أرفعه، إنْ أمسكتَ نفسي فارحمْها، وإن أرسلتَها فاحفظْها بما تحفظُ به عبادَك الصالحين)).

وأمَرَ النبي ﷺ المسلم إذا أراد أن يضطجع فليضطجع على يمينه.

وفي الصحيحين[3] عن ابن عباس رضي الله عنهما، في قصة نومه عند خالته ميمونة رضي الله عنها: ثم اضطجع ﷺ فنام حتى نفخ.

وكان ﷺ إذا استيقظ من نومه في الليل ليتهجدَ قال: ((اللهم لك الحمد، أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت قَيِّمُ السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت الحقُّ، ووعدُك حقٌّ، وقولك حق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والساعة حق، والنبيون حق، ومحمد حق، اللهم لك أسلمتُ، وعليك توكلتُ، وبك آمنتُ، وإليك أنبتُ، وبك خاصمتُ، وإليك حاكمتُ، فاغفر لي ما قدمتُ وما أخرتُ، وما أسررتُ وما

(١) المسبحات: سورة الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى.

(٢) البخاري (٦٣٢٠)، ومسلم (٢٧١٤).

(٣) البخاري (١٣٨)، ومسلم (٧٦٣).

أعلنتُ، أنت المقدِّم وأنت المؤخِّر، لا إله إلا أنت)). رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما[1].

٥- والتسبيح عند النوم خير من خادم، كما في حديث علي رضي الله عنه أن فاطمة رضي الله عنها شَكَتْ ما تلقَى في يدها من الرَّحَى، فأتَتِ النبيَّ ﷺ تسألُه خادمًا، فلم تجده، فذكرَتْ ذلك لعائشة رضي الله عنها، فلما جاء أخبرته، قال علي: فجاءَنا وقد أخذْنا مضاجعَنا، فذهبنا نقومُ فقال ((: ((على مكانِكما)) فجلس بيننا حتى وجدتُ بَرْدَ قدميه على صدري، فقال: ((ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم؟ إذا أَوَيْتُما إلى فراشِكما أو أخذتما مضاجعَكما فكَبِّرَا ثلاثًا وثلاثين، وسَبِّحَا ثلاثًا وثلاثين، واحْمَدَا ثلاثًا وثلاثين، فهذا خير لكما من خادم)). متفق عليه[2].

وزاد مسلم في رواية: قال علي رضي الله عنه: ما تركتُه منذ سمعتُه من النبي ﷺ. قيل له: ولا ليلةَ صفين؟ قال: ولا ليلةَ صفين.

٦- وقد نهى النبي ﷺ عن النوم بدون ذكر، فقد أخرج أبو داود [3] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((من اضطجع مضجَعًا لم يذكُرِ الله فيه إلا كان عليه تِرَةً نقصًا يومَ القيامة، ومن قعد مقعَدًا لم يذكر الله عز وجل فيه إلا كان عليه تِرَةً يومَ القيامة)).

---

(١) البخاري (٦٣١٧).

(٢) البخاري (٥٣٦١)، ومسلم (٢٧٢٧).

(٣) أبو داود (٤٤٠٠).

٧- وكان ﷺ يكره النوم على البطن، فعند أبي داود: ((إنّ هذه ضِجْعةٌ يُبْغِضها الله)). ولفظ أحمد: ((هي أبغضُ الرِّقْدة إلى الله))[١].

٨- وكان ﷺ لا ينام إلا والسواكُ عنده، فإذا استيقظ بدأ بالسواك. رواه الإمام أحمد[٢].

٩- وكان ﷺ إذا أراد أن ينام وهو جنبٌ غَسَلَ فرجَه. وتوضأ وضوءَه الصلاة. متفق عليه عن عائشة رضي الله عنها[٣].

كلامه وسكوته ﷺ:

كان ﷺ أفصحَ الناس وأَبْيَنَهم كلامًا، يُعيد الكلام ثلاثًا لِيُفْهَمَ ويُحْفَظَ عنه، ولا يسرُدُ الكلامَ سردًا.

أخرج الشيخان[٤] عن عائشة رضي الله عنها قالت: إنّ رسول الله ﷺ لم يكن يسرُدُ الحديثَ كَسَرْدِكم. وعند أحمد[٥] عنها: كان كلامُ النبي ﷺ فصلًا يَفْقَهُه كلُّ أحد، لم يكن يسرُدُه سردًا.

(١) سنن أبي داود (٤٣٨٣) ومسند أحمد (٣٨٨/٤).
(٢) مسند أحمد (١١٧/٢).
(٣) البخاري (٢٨٨)، ومسلم (٣٠٥).
(٤) البخاري (٣٥٦٨)، ومسلم (٢٤٩٣).
(٥) مسند أحمد (١٣٨/٦).

وروى الترمذي[١] وصححه عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسولُ الله ﷺ يُعيدُ الكلمةَ ثلاثًا لتُعْقَلَ عنه.

وروى الإمام أحمد عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: ما رأيتُ رسولَ الله ﷺ يحدث حديثًا إلا تبسم [٢].

وقال رسول الله ﷺ: ((بُعثتُ بجوامعِ الكَلِم، ونُصرتُ بالرعب)). متفق عليه[٣].

وكان ﷺ يتمثل أحيانًا بالشعر.

روى الترمذي وصححه[٤] عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يتمثَّلُ بشعرِ ابنِ رَوَاحةَ، ويتمثّلُ ويقولُ:

ويأتيكَ بالأخبارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ.

وعن جُنْدَبِ بنِ سُفيان البَجَلي رضي الله عنه قال: أصاب حَجَرٌ إصْبَعَ رسول الله ﷺ في بعض المشاهد، فقال:

((هَلْ أنتِ إلا إصْبَعٌ دَمِيتِ وفي سبيلِ الله ما لَقِيتِ))

متفق عليه[٥].

---

(١) الترمذي (٣٦٤٠).

(٢) مسند أحمد (١٩٨/٥).

(٣) البخاري (٢٩٧٧)، ومسلم (٥٢٣).

(٤) الترمذي (٢٨٤٨).

(٥) البخاري (٢٨٠٢)، مسلم (١٧٩٦).

وقال رسول الله ﷺ في غزوة حنين:

((أنا النبيُّ لا كَذِبْ أنا ابنُ عبدِ المطلِبْ))

ويقول في بناء المسجد النبوي:

((هذا الحِمالُ لا حِمال خَيْبَرْ هذا أَبَرُّ ـ رَبَّنا ـ وأطْهَرْ)).

قال ابن شهاب: ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسول الله ﷺ تمثل ببيت شعر تام، غير هذا البيت. رواه البخاري(١).

وروى أبو نعيم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله، ما لَكَ أفصحُنا ولم تخرج من بين أظهُرنا؟ قال: ((كانت لغةُ إسماعيلَ قد دَرَسَتْ، فجاء بها جبريل فحفّظَنِيها فحفظتُها))(٢).

قراءته ﷺ:

كانت قراءته مَدًّا، كما في رواية البخاري(٣) عن أنس رضي الله عنه: يمد ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ ويمد ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ ويمد ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾.

---

(١) رواه البخاري (٣٩٠٦)، أما قوله ﷺ ((اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة))، فظنه كثير من أهل العلم شعرًا، ولكنْ نَبّه الإمام ابن هشام في السيرة بحث بناء المسجد أنه ليس بشعر فقال: هذا كلام وليس برجز.

(٢) وفصاحة النبي ﷺ أمر متواتر، أما هذا الحديث رواه أبو نعيم في تاريخ أصبهان بإسناد ضعيف.

(٣) البخاري (٥٠٤٦).

وكان يقطع قراءته يقول: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، ثم يقف، ثم يقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ثم يقف. رواه الترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها[1].

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان ﷺ يسر بالقراءة ويجهر. رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه[2].

ضَحِكُه ﷺ:

كان أغلبُ ضَحِكِه التبسُّمَ، وقد يضحك أكثرَ منه.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيتُ رسولَ الله ﷺ ضاحكًا حتى أرى لَهَوَاتِه (اللحمة في أقصى سقف الفم)، إنما كان يتبسّم. متفق عليه[3].

وأخرج الترمذي[4] وحسنه عن عبد الله بن الحارث بن جَزْءٍ رضي الله عنه قال: ما رأيت أحدًا أكثرَ تبسمًا من رسول الله ﷺ.

مزاحه ﷺ:

كان رسول الله ﷺ يمزح، ولا يقول إلا حقًا، ولا يُواجه أحدًا بما يكره، ويداعبُ الصبيانَ الصغارَ.

---

(١) الترمذي (٢٩٢٧). وقال حسن غريب.

(٢) الترمذي (٤٤٩)، وأبو داود (١٢٢٥)، وابن ماجه (١٣٥٤).

(٣) البخاري (٤٨٢٩)، ومسلم (٨٩٩).

(٤) الترمذي (٣٦٤١).

فعن أنس رضي الله عنه، أن رجلًا استحْمَلَ رسولَ الله ﷺ، فقال: ((إني حامِلُك على ولدِ الناقة)). فقال: يا رسول الله، ما أصنع بولد الناقة؟ فقال رسول الله ﷺ: ((وهل تَلِدُ الإبلَ إلا النُّوقُ؟!)). رواه الترمذي[1] وقال: حسن صحيح.

وعن أنس أن النبي ﷺ قال له: ((يا ذا الأُذُنَيْن)) يعني يمازحه. رواه الترمذي وصححه، وأبو داود[2].

وعن أنس رضي الله عنه قال: إنْ كان رسول الله ﷺ لَيُخالطُنا، حتى إنه كان لَيَقولُ لأخٍ لي صغيرٍ: ((يا أبا عُمَيْرْ، ما فَعَلَ النُّغَيْرْ؟)) متفق عليه[3].

وعن أنس رضي الله عنه أن رجلًا من أهل البادية كان اسمُه زاهرًا، كان يُهدي للنبي ﷺ الهدية من البادية، فيُجهِّزُه رسولُ الله ﷺ إذا أراد أن يخرج، فقال النبي ﷺ: إن زاهرًا بادِيَتُنا ونحن حاضرُوه.

وكان النبي ﷺ يحبه، وكان رجلًا دميمًا، فأتاه النبي ﷺ يومًا وهو يبيع متاعَه، فاحتضنه مِن خلفِه وهو لا يُبصره، فقال الرجل: أرسلني، مَن هذا؟ فالتفتَ فعرف النبيَّ ﷺ، فجعل لا يَأْلُو ما ألصَقَ ظهرَه بصدر النبي ﷺ حين عرفه، وجعل النبي ﷺ يقول: ((من يشتري العبدَ؟)) فقال: يا رسول الله، إذن

---

(١) الترمذي (١٩٩١).

(٢) الترمذي (١٩٩٢) وأبو داود (٤٣٤٦).

(٣) البخاري (٦١٢٩)، ومسلم (٢١٥٠).

واللهِ تَجِدَني كاسدًا! فقال النبي ﷺ: ((لكن عند الله لست بكاسد)). رواه أحمد والترمذي في الشمائل وابن حبان في صحيحه[١].

وعن عَوْفِ بن مالكٍ الأشجعي رضي الله عنه قال: أتيتُ رسولَ الله ﷺ في غزوة تبوكَ وهو في قُبّة من أَدَمٍ ، فسلمتُ فَرَدّ، وقال: ((ادْخُل)) فقلت: أَكُلِّي يا رسول الله؟ قال: ((كُلُّك)) فدخلتُ. رواه أبو داود[٢].

بكاؤه ﷺ:

كان ﷺ يُكثر البكاءَ خشيةً واعترافًا بنعمة الله تعالى، كما كان يُكثر البكاء خوفًا على أمته، وحرصًا على سلامتها ونجاتها.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: ((اقْرَأْ عَلَيَّ)) قلت: آقْرأُ عليك وعليك أُنزل؟ قال: ((فإني أحب أن أسمعَه من غيري)). فقرأتُ عليه سورة النساء حتى بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] قال: ((أمسِكْ)) فإذا عيناهُ تَذْرِفانِ. متفق عليه[٣].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ تلا قولَ الله عز وجل في إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّىۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦]. وقال

(١) مسند أحمد (١٦٩/٣)، والشمائل (٢٣٧) وصحيح ابن حبان (٥٧٩٠).
(٢) أبو داود (٤٣٤٨).
(٣) البخاري (٤٥٨٢)، ومسلم (٨٠٠).

عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨].

فرفع يديه وقال: ((اللهم أمتي أمتي)) وبكى. فقال الله عز وجل: يا جبريل، اذهب إلى محمد – وربك أعلم – فسَلْه: ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فسأله، فأخبره رسولُ الله ﷺ بما قال. وهو أعلم. فقال الله: يا جبريل، اذهب إلى محمد فقل: إنّا سنرضيك في أمتك ولا نَسُوءُك. رواه مسلم(١).

وبكاء الرسول ﷺ وبكاء أبي بكر رضي الله عنه، ودخولُ عمر رضي الله عنه عليهما وهما يبكيان، وسؤالهُ لهما، هو في مسلم أيضًا(٢).

وأما بكاؤه عند المريض، وعلى مَنِ احْتُضِرَ أو مات، فإنما هي رحمة، جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء. متفق عليه(٣).

وقَبّل ﷺ عثمانَ بنَ مَظْعونٍ رضي الله عنه بعد موته وهو يبكي أو عيناه تُهْرَاقان كما في حديث عائشة رضي الله عنها عند الترمذي وأحمد(٤).

وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا، أرى ما لا تَرَوْن، وأسمع ما لا تسمعون، أَطّتِ

(١) مسلم (٢٠٢).
(٢) مسلم (١٧٦٣).
(٣) البخاري (١٢٨٤)، ومسلم (٩٢٣).
(٤) الترمذي (٩٨٩)، وأحمد (٢٠٦/٦).

السماء وحُقَّ لها أن تئط (أي كثرة مافيها من الملائكة قد أثقلها حتى أطّتْ، والأطيط: صوت الإبل وحنينها وهو مثلٌ ضربه ﷺ على كثرة الملائكة)، ما فيها موضعُ أربعِ أصابعَ إلا ومَلَكٌ واضعٌ جبهتَه ساجدًا لله، واللهِ لو تعلمون ما أعلمُ لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا، وما تَلَذّذْتم بالنساء على الفُرُش، ولخَرجتم إلى الصُّعُدات تَجْأرون إلى الله تعالى)). قال أبو ذر: لَوَدِدْتُ أني شجرةٌ تُعْضَد. رواه الترمذي وأحمد(١).

وكان ﷺ يقوم حتى تَرِمَّ قدماه، فقيل له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: ((أفلا أكون عبدًا شكورًا)). متفق عليه(٢).

وعن عبد الله بن الشِّخِّير ﷺ قال: أتيتُ رسول الله ﷺ وهو يصلي، ولِجَوْفِه أَزيزٌ كأزيز المِرْجَل من البكاء. رواه أبو داود والترمذي في الشمائل والنسائي وأحمد(٣).

وفي لفظ: كأزيز الرَّحَى.

غضبه ﷺ:

لم يكن غضبُه لنفسه، وما كان ينتقم لنفسه ﷺ، إنما كان يغضب إذا انْتُهِكَتْ محارمُ الله تعالى، فإذا انتهكت محارم الله لم يَقُمْ لغضبه شيءٌ.

---

(١) الترمذي (٢٣١٢)، وأحمد (١٧٣/٥).

(٢) روي عن عائشة في البخاري (٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨٢٠). وعن المغيرة بن شعبة في البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩).

(٣) أبو داود (٧٦٩) والترمذي في الشمائل (٣١٣) والنسائي (١٢١٤) وأحمد (٢٥/٤).

ففي قصة الذي يتأخر عن صلاة الفجر من أجل الإمام الذي كان يُطيل، قال أبو مسعود رضي الله عنه: فما رأيتُ النبيَّ ﷺ غَضِبَ في موعظةٍ قط أشدَّ مما غضب يومئذ. فقال: ((يا أيها الناس، إن منكم مُنَفِّرِين، فأيكم أمَّ الناسَ فلْيُوجِزْ، فإن مِن ورائه الكبيرَ والضعيفَ وذا الحاجة)). متفق عليه[1].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: رخَّص رسولُ الله ﷺ في أمر، فتنزَّه عنه ناسٌ من الناس، فبلَغَ ذلك النبيَّ ﷺ، فغضب حتى بانَ الغضبُ في وجهه، ثم قال: ((ما بال أقوام يرغبون عما رُخِّصَ لي فيه! فوالله لأَنَا أعلمُهم بالله، وأشدُّهم له خشية)). رواه مسلم[2].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، في قصة إعطاءِ المؤلَّفةِ قلوبُهم، وفيه فقال رجل: إنّ هذه قِسمةٌ ما أُرِيدَ بها وجهُ الله. فأتيتُ النبيَّ ﷺ فأخبرتُه، فغضب حتى رأيت الغضبَ في وجهه، ثم قال: ((يرحم الله موسى؛ فقد أُوذِيَ بأكثرَ من هذا فصَبَر)). متفق عليه[3].

ونهى ﷺ عن الغضب، وذكر دَواءه، ورَغّب في كظم الغيظ.

وقد أوصى ﷺ مَن استوصاه بعدم الغضب، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه ذكر أن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب. متفق عليه[4].

---

(١) البخاري (٧٠٢)، ومسلم (٤٦٦).

(٢) مسلم (٢٣٥٦).

(٣) البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٢).

(٤) البخاري (٦١١٤) ومسلم (٢٦٠٨).

ودعا ﷺ إلى الوضوء لإطفاء الغضب، فقال: ((إن الغضبَ من الشيطان، وإن الشيطانَ خُلق من نار، وإنما تُطْفأ النارُ بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ)). أبو داود وأحمد[1].

وعن سليمانَ بنِ صُرَدٍ رضي الله عنه قال: اسْتَبَّ رجلانِ عند النبي ﷺ، فجعل أحدُهما يغضب ويحمَرُّ وجهُه وتنتفخ أوداجه، فنظر إليه النبي ﷺ فقال: ((إني لأعلم كلمةً لو قالها لَذَهب عنه هذا؛ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)). متفق عليه[2].

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع)). رواه أبو داود وابن حبان، وجاء مرسلًا عند أبي داود وهو أصح[3].

عيشه وأكله وشربه ﷺ:

لقد اكتَفى ﷺ من الدنيا وعَيشِها بالذي يُقيم صُلْبَه، واكتفى بالكفاف، ولم يمد عينيه إلى زينة الحياة الدنيا؛ لأنها متاعُ الغُرور، ولَعِبٌ ولَهْوٌ، وأعرض عن زهرتها، وقد سِيقَتْ إليه بحذافيرها، وترادَفَتْ عليه فتوحاتُها.

(١) أبو داود (٤١٥٢) وأحمد (٤/٢٢٦).
(٢) البخاري (٦٠٤٨) مسلم (٢٦١٠).
(٣) أبو داود (٤١٥١) وابن حبان (٥٦٨٨).

وعُرِضَ عليه أن تُجعل له بطحاءُ مكة ذهبًا، فقال: ((لا يا ربِّ، ولكن أشبع يومًا وأجوع يومًا، فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك، وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحْمَدُك وأُثْني عليك)).

ورواه الترمذي بلفظ: ((لا يا رب، ولكن أشبع يومًا وأجوع يومًا، فإذا جُعْتُ تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعتُ شكرتك وحَمِدْتُك))[1].

وقالت عائشة ﵂: إنْ كنا -آلَ محمد- لَنَمْكُث شهرًا ما نستوقد بِنارٍ، إنْ هو إلا التمرُ والماء. رواه مسلم[2].

وروى البخاري عن أنس ﵁: ما أكل رسول الله ﷺ على خِوانٍ (مائدة مرتفعة) ولا في سُكْرُجة (الإناء الصغير يؤكل فيه الأَدَم) ولا خُبِزَ له مُرَقَّقٌ، ولا رأى شاة سميطًا (المشوي بجلده) قط[3].

وقالت عائشة ﵂: ما شبع عليه الصلاة والسلام ثلاثةَ أيام تِباعًا من خُبْزِ بُرٍّ حتى مضى لسبيله. متفق عليه[4].

ودعا لأهله وآله: ((اللهم اجعلْ رزقَ آل محمد قُوتًا)). رواه الشيخان[5].

---

(١) الترمذي (٣٩٨٠).

(٢) مسلم (٢٩٧٢).

(٣) البخاري (٥٣٨٦) و(٥٤٢١).

(٤) البخاري (٥٤١٦)، ومسلم (٢٩٧٠).

(٥) البخاري (٦٤٦٠)، ومسلم (١٠٥٥).

وقالت عائشة ﵂: ما ترك عليه الصلاة والسلام دينارًا ولا درهمًا، ولا شاة ولا بعيرًا. رواه مسلم(١).

وقالت عائشة ﵂: لقد تُوفي رسولُ الله ﷺ وما في بيتي من شيء يأكله ذو كبد إلا شطرُ شعير في رَفٍّ لي، فأكلت منه حتى طال عليّ، فَكِلْتُه ففَنِيَ. متفق عليه(٢).

وقالت عائشة ﵂: تُوفي رسول الله ﷺ ودِرْعُه مرهونةٌ عند يهودي في ثلاثين صاعًا من شعير. متفق عليه(٣).

وكان ﷺ إذا أَكَل سَمّى الله تعالى، وأكل بأصابعه الثلاث، وإذا انتهى من طعامه لَعِقَ أصابعَه. وكان ﷺ لا يأكل متكئًا ولا مائلًا، وكان ﷺ يأكل بيمينه، ويأكل مما يليه.

وعن حُذيفة بن اليَمان ﵁ قال: كنا إذا حَضَرْنا مع النبي ﷺ طعامًا لم نضع أيدِيَنا حتى يبدأ رسولُ الله ﷺ فيضَعَ يدَه، وإنا حضرنا معه مرة طعامًا، فجاءت جاريةٌ كأنها تُدفَع، فذهبت لتضعَ يدها في الطعام، فأخذ رسول الله ﷺ بيدها، ثم جاء أعرابي كأنما يُدفَع، فأخذ بيده، فقال رسول الله ﷺ: ((إن الشيطانَ يستحِلُّ الطعامَ أنْ لا يُذْكَرَ اسمُ الله عليه، وإنه جاء بهذه الجارية ليستحلَّ بها، فأخذتُ بيدها، فجاء بهذا الأعرابي ليستحل به، فأخذتُ بيده،

(١) مسلم (١٦٣٥).
(٢) البخاري (٣٠٩٧)، ومسلم (٢٩٧٣).
(٣) البخاري (٢٩١٦)، ومسلم (١٦٠٣).

والذي نفسي بيده، إنّ يده في يدي مع يدها)) ثم ذَكَرَ اسمَ الله وأَكَل. رواه مسلم(١).

وعن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: ((إذا أكل أحدكم طعامًا فليقل: بسم الله، فإن نسي في أوله فليقل: بسم الله في أولِه وآخرِه)). رواه أبو داود والترمذي وصححه(٢).

وعن جابر بن عبد الله ﵄ أنه سمع النبي ﷺ يقول: ((إذا دخل الرجل بيتَه فذَكر اللهَ عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان: لا مَبِيتَ لكم ولا عَشاءَ، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله، قال الشيطان: أدركْتُم المَبِيتَ، وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال: أدركتم المَبِيتَ والعَشاء)). رواه مسلم(٣).

وعن ابن عمر ﵄ أن رسول الله ﷺ قال: ((إذا أكل أحدُكم فليأكل بيمينه، وإذا شرب فليشرَبْ بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بشماله)). زاد نافع: ((ولا يأخذ بها ولا يعطي بها)). رواه مسلم(٤).

وعن عُمرَ بن أبي سلَمة ﵁ قال: كنتُ غلامًا في حِجْرِ رسولِ الله ﷺ، وكانت يدي تَطِيشُ في الصَّحْفَة، فقال لي رسول الله ﷺ: ((يا غلام، سَمِّ الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ مما يليك)). فما زالت تلك طِعْمتي بعدُ. متفق عليه(٥).

---

(١) مسلم (٢٠١٧).

(٢) أبو داود (٣٢٧٥) والترمذي (١٨٥٨) واللفظ له.

(٣) مسلم (٢٠١٨).

(٤) مسلم (٢٠٢٠).

(٥) البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((البركة تنزل وسَطَ الطعام، فكُلوا من حافَتَيْه، ولا تأكلوا من وَسَطِه)). أخرجه الترمذي وصححه[١].

وقال رسول الله ﷺ: ((لا آكل متكئًا)). رواه البخاري[٢].

وعن أنس رضي الله عنه قال: رأيتُ النبي ﷺ مُقْعِيًا يأكل تمرًا. رواه مسلم[٣].

وعن أنس رضي الله عنه قال: أُتِيَ رسولُ الله ﷺ بتمر، فجعل النبي ﷺ يقسمه، وهو مُحْتَفِزٌ[٤] يأكل منه أكلًا ذَرِيعًا. رواه مسلم[٥].

وعن كعبِ بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يأكل بثلاثِ أصابع، ويَلْعَقُ يده قبل أن يمسَحَها. رواه مسلم[٦].

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أَمَرَ بلَعْقِ الأصابع والصَّحْفة، وقال: ((إنكم لا تدرون في أيِّهِ البَرَكةُ)). وقال: ((إذا سقطتْ لقمةُ أحدكم فلْيُمِطْ عنها الأذى وليأكلها، ولا يدعها للشيطان))، وأمَرَنا أن نسلُتَ القَصْعة، قال: ((فإنكم لا تدرون في أيِّ طعامكم البَرَكةُ)). رواه مسلم[٧].

---

(١) الترمذي (١٨٠٥).

(٢) البخاري (٥٣٩٨).

(٣) مسلم (٢٠٤٤).

(٤) المحتفز: المستعجل المستوفز غير المتمكن في جلوسه، واستعجاله ﷺ لشغل آخر.

(٥) مسلم (٢٠٤٤).

(٦) مسلم (٢٠٣٢).

(٧) مسلم (٢٠٣٣).

وقد شرب ﷺ شراب قوم، فدعا لهم: ((اللهم بارك لهم فيما رزقتَهم، واغفر لهم، وارحمهم)). رواه مسلم[١].

وكان ﷺ يدعو بعد الطعام بدعوات، منها:

((الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، غيرَ مَكْفِيٍّ ولا مُوَدَّعٍ (غير متروك الطلب إليه والرغبة فيما عنده) ولا مُسْتَغْنًى عنه رَبَّنا)). رواه البخاري[٢].

وقال ﷺ: ((من أكل طعامًا فقال: الحمد لله الذي أطعمَني هذا ورَزَقَنِيهِ من غير حولٍ مني ولا قوةٍ، غُفر له ما تقدم من ذنبه)). رواه الترمذي وحسنه[٣].

وأكل الرسول ﷺ خبزًا وزيتًا عند سعد بن عُبَادةَ رضي الله عنه، ثم قال: ((أفطر عندَكم الصائمون، وأكل طعامَكم الأبرارُ، وصلّتْ عليكم الملائكة)). رواه أبو داود وأحمد بسند صحيح[٤].

وما عاب رسول الله ﷺ طعامًا قط، كان إذا اشتهى شيئًا أكله، وإن كرهه تركه، متفق عليه[٥]. وفي لفظ لمسلم: ما رأيت رسول الله ﷺ عاب طعامًا قط، إذا اشتهاه أكَلَه، وإن لم يَشْتَهِهِ سَكَتَ.

---

(١) مسلم (٢٠٤٢).

(٢) البخاري (٥٤٥٨).

(٣) الترمذي (٣٤٥٨).

(٤)أبو داود (٣٣٥٦) وأحمد (١٣٨/٣).

(٥) البخاري (٥٤٠٩)، ومسلم (٢٠٦٤).

وأما شربه ﷺ:

فقد كان يشرب بيده اليمنى، ويُسَمِّي الله تعالى، ولا يتنفس في الإناء، ويتنفس خارجَه مرتين وثلاثًا، ويشرب بالقدح، وأحيانًا من فم السِّقاء أو بالكرع بيانًا للجواز.

وغالب شربه يشرب قاعدًا، وشرب قائمًا بيانًا للجواز، وشرب وهو قاعد على الأرض، وشرب وهو راكب على راحلته، ولم يشرب بآنية ذهب ولا فضة، بل نهى عن ذلك أشد النهي.

وكان ﷺ إذا شرب وفَضَلَ فَضْلةٌ أعطى مَنْ على يمينه، ولو كان عن يساره أبو بكر رضي الله عنه. وكان يحث على تغطية الإناء، وإيكاء السقاء، وإذا شرب لبنًا أو ما فيه دَسَمٌ مَضْمَضَ.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، وإذا شرب فليشرب بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله)). رواه مسلم[1].

وقال ﷺ: ((إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء)). متفق عليه[2].

ونهى ﷺ عن النفخ في الشراب. رواه الترمذي وصححه[3].

---

(١) مسلم (٢٠٢٠).

(٢) البخاري (١٥٣)، ومسلم (٢٦٧).

(٣) الترمذي (١٨٨٧).

ونهى ﷺ عن الشرب من ثُلْمة القَدَح، وأن يُنْفَخَ في الشراب. رواه أبو داود[١].

ونهى ﷺ عن الشرب قائمًا، وفي لفظ: زجر عن الشرب قائمًا. رواه مسلم[٢].

وشرب رسول الله ﷺ وهو قائم. رواه البخاري[٣].

وأما الشرب من زمزم فقد شرب ﷺ من زمزم وهو قائم. متفق عليه[٤].

فراشه ﷺ:

سُئلت حفصة رضي الله عنها: ما كان فراش رسول الله ﷺ في بيتِك؟ قالت: مِسْحًا نَثْنِيه ثِنْيتين فينام عليه، فلما كان ذات ليلة قلتُ: لو ثنيتُه أربع ثَنَيات لكان أوطأَ له، فثنيناه له بأربع ثَنَيات، فلما أصبح قال: ((ما فرشتم لي الليلة؟)) قلنا: هو فراشك، إلا أنا ثنيناه بأربع ثَنَيات، قلنا: هو أوطأ لك. فقال: ((ردوه لحالته الأولى، فإنه مَنَعَتْني وطأتُه صلاتي الليلةَ)). رواه الترمذي في الشمائل[٥].

---

(١) أبو داود (٣٢٣٤).

(٢) مسلم (٢٠٢٤) و(٢٠٢٥).

(٣) البخاري (٥٦١٥).

(٤) البخاري (١٦٣٧)، ومسلم (٢٠٢٧).

(٥) الترمذي في الشمائل (٣٢١).

سلاحه ﷺ:

كان له ﷺ سبعة أسياف منها: ذو الفَقَار، وله ثلاثة دروع، وله ترس، وكان له ثلاثة أرماح، وله مِغْفَرٌ من حديد يَلْبَسُه.

وأما خيوله فذُكر أنها سبعة، وأوصلها بعضهم إلى خمسةَ عشر، والله أعلم.

وأما البغال فقد ذكر في كتب السيرة أربعة منها: الشهباء التي أهداها له المقوقس.

وأما الحمير فقد ذكر أيضًا أنها ثلاثة، ومنها أشهب.

وأما الإبل فمنها القصواء، وهي العضباء والجدعاء، ولم يكن لها عَضْبٌ ولا جَدْعٌ، والعضباء التي كانت لا تسبق.

فصل جامع في أخلاقه وصفاته ﷺ:

قال القاضي عياض في الشفا:

أمّا ما تدعو إليه ضرورة الحياة، فمنه ما الفضل في قِلته، ومنه ما الفضل في كثرته، ومنها ما تختلف الأحوال فيه.

فالأول كالغذاء والنوم، ولم تزل العرب والحكماء قديمًا تتمادح بقلتهما، وتذم بكثرتهما؛ لأن كثرة الأكل والشرب دليل على النَّهَم والحرص، والشَّرَه وغلبةِ الشهوة، مُسَبّبٌ لمضار الدنيا والآخرة، جالبٌ لأدواء الجسد، وخُثارةِ النفس (ثقلها وعدم نشاطها) وامتلاءِ الدماغ.

وقلته دليل على القناعة ومِلْك النفس، وقمعِ الشهوة، مسببٌ للصحة، وصفاء الخاطر، وحدة الذهن، كما أن النوم دليل على الفُسولة (كسل النفس) والضعف، وعدم الذكاء والفطنة، مسببٌ للكسل وعادةِ العجز، وتضييع العمر في غير نفع، وقساوة القلب وغفلته وموته.

وكان ﷺ قد أخذ من الأكل والنوم بالأقل، وحض عليه، قال ﷺ: ((ما ملأ ابنُ آدم وعاءً شرًا من بطنٍ، حَسْبُ ابنِ آدم لُقيماتٌ يُقِمْنَ صُلْبَه، فإن كان لا مَحالةَ فثُلثٌ لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنَفَسه)) رواه الترمذي وصححه[1]. ولأن كثرة النوم من كثرة الأكل والشرب...

(١) الترمذي (٢٣٨٠).

وأمّا ما الفضل في كثرته، فكالجاه، وهو محمود عند العقلاء عادة، وبقدر جاهِه عِظَمُه في القلوب، وقد قال تعالى في صفة عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥]. وكان النبي ﷺ قد رُزق من الحشمة، والمكانة في القلوب، والعظمة قبل النبوة، عند الجاهلية وبعدها، وهم يكذبونه ويؤذون أصحابه رضي الله عنهم، ويقصدون أذاه في نفسه خفية، حتى إذا واجههم أعظموا أمره وقضوا حاجته، وقد كان يَبْهَتُ ويَفْرَقُ لرؤيته من لم يره...

وأما عظيم قدره بالنبوة، وشريفُ منزلته بالرسالة، وإنافةُ رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا، فأمر هو مبلغ النهاية، ثم هو في الآخرة سيد ولد آدم، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

وأما ما تختلف فيه الحالات في التمدح به، والتفاخرِ بسببه، والتفضيل لأجله، ككثرة المال، فصاحبه على الجملة معظَّم عند العامة، لاعتقادها توصُّلَه به إلى حاجاته، وتَمَكُّنَه في أغراضه، وإلا فليس فضيلةً في نفسه، فمتى كان بهذه الصورة، وكان صاحبه منفقًا له في مُهمّاته، ومهماتِ من قصدَه وأمّلَه، يصرفه في مواضعه، مشتريًا به المعاليَ والثناءَ الحسنَ، والمنزلةَ في القلوب، كان فضيلةً في صاحبه عند أهل الدنيا، وإذا صرفه في وجوه البر، وأنفقه في سبيل الخير، وقصد بذلك اللهَ تعالى والدارَ الآخرة، كان فضيلة عند الكل بكل حال.

ومتى كان صاحبه ممسكًا له، غيرَ موجِّهِه وجوهَه، حريصًا على جمعه، عادت كثرته كالعدم، وكان مَنْقَصَة في صاحبه، ولم يقف به على جَدَدِ السلامة، بل أوقعه في وَهْدة رذيلة البخل، ومذمة النذالة.

فالتمدح بالمال ليس لذاته، بل للتوصل به إلى غيره، وتصريفِه في مُتَصَرَّفاته.

ونبينا ﷺ أوتي خزائنَ الأرض ومفاتيحَ البلاد، وأُحلت له الغنائمُ، وفُتح عليه في حياته بلادُ الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب، وما دانَ ذلك من الشام والعراق، وجُلب إليه كثير من أخماسها وجِزْيتها وصدقاتها، وهاداه جماعةٌ من ملوك الأقاليم، فما استأثَرَ بشيء منه، ولا أَمسك منه درهمًا، بل صرفه في مصارفه، وأغنى به غيرَه، وقوَّى به المسلمين، وقال: ((ما يسرني أن لي أُحُدًا ذهبًا تأتي علي ثالثة وعندي منه دينار، إلا دينارٌ أرْصُدُه لدينٍ علي))[1].

وأتته دنانيرُ مرةً، فقسمها وبقيت منها ستة، فدفع الستة لبعض نسائه فلما أوى إلى بعض نسائه لم يأخذه النوم، فقال: ((ما فعلت الستة؟)) قالوا: دفعناها إلى فلانة، قال ((ائتوني بها)) فقسم منها في خمسة أبيات في الأنصار ثم قال: ((استمتعوا بهذا الباقي)) وقال: ((الآن استرحت)). رواه البيهقي في الشعب[2].

(١) البخاري (٦٢٦٨)، ومسلم (٩٩١).

(٢) شعب الإيمان (٣١٦/٧) و(١٠٤٣٣).

ويقول القاضي عياض:

وأما الخصال المكتسبة من الأخلاق الحميدة والآداب الشريفة، فجميعها قد كانت خُلُقَ نبينا ﷺ على الانتهاء في كمالها، والاعتدال إلى غايتها، حتى أثنى الله تعالى عليه بذلك فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القَلَم: ٤].

قالت عائشة رضي الله عنها: كان خُلُقُه القرآنَ، يرضى برضاه، ويسخط بسخطه. وقال عليه الصلاة والسلام: ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)). وقال أنس رضي الله عنه: كان عليه الصلاة والسلام أحسن الناس خُلقًا.

وهذه الأخلاق المحمودة كثيرة، ولكنا نذكر أصولها:

فأصل فروعها، وعنصُرُ ينابيعِها، ونقطة دائرتها: العقل الذي منه ينبعث العلم والمعرفة، ويتفرع من هذا ثقوبُ الرأي، وجَوْدةُ الفطنة، والإصابةُ، وصدق الظن، والنظر للعواقب ومصالح النفس، ومجاهدة الشهوة، وحسن السياسة والتدبير، واقتناء الفضائل، وتجنب الرذائل.

وقد بلغ ﷺ منه ومن العلم الغايةَ التي لم يبلغها بشر سواه، يَعلمُ ذلك مَن تتبَّعَ مجاريَ أحوالِه واطرادَ سِيَرِه، وطالَعَ جوامعَ كَلِمِه، وحُسْنَ شمائله، وبديعَ سِيرَه، وحِكَمَ حديثه، وعِلْمَه بما في التوراة والإنجيل، والكتب المنزلة، وحِكَم الحكماء، وسِيَرِ الأمم الخالية وأيامها، وضرب الأمثال، وسياسات الأنام، وتقرير الشرائع، وتأصيل الآداب النفيسة، والشيم الحميدة، إلى فنون العلوم التي اتخذ أهلُها كلامَه فيها قدوةً، وإشارتَه حجةً، كالطب والحساب والفرائض والنَّسَب وغير ذلك، دون تعليم ولا مدارسة، ولا مطالعة كتبِ مَنْ تقدَّم، ولا الجلوسِ إلى

علمائهم، بل نبيٌّ أمي لا يعرف شيئًا من ذلك، حتى شرح الله صدره، وأبان أمره وعلمه، وبحَسَبِ عقله كانت معارفه ﷺ، إلى سائر ما علمه الله، وأطلعه الله عليه، من علم ما يكون وما كان، وعجائب قدرته وعظيم ملكوته.

قال تعالى:﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النِّساء: ١١٣].

الحلم والاحتمال، والعفو عند المقدرة، والصبر على ما يكرهه:

مما أدّب الله به نبيه ﷺ فقال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. وقد سأل رسولُ الله ﷺ جبريلَ عن تأويلها، فقال: ((يا محمد، إن الله يأمرك أن تَصِلَ مَنْ قطعَك، وتُعطيَ مَن حَرَمَك، وتعفوَ عمن ظلمك))[1].

وقال له: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. وقال: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمَان: ١٧]. وقال: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

وقد تضافرت الأخبار على أنه ﷺ متصف بأعلى هذه الأوصاف، فنبينا ﷺ يَسبق حِلْمُه جهلَه، ولا تزيده زيادة الجهل عليه إلا حلمًا، ولم يكن ينتصر

(١) قال العراقي في تخريج الإحياء: أخرجه ابن مردويه من حديث جابر وقيس بن سعد وأنس بأسانيد حسان.

لنفسه ((وما انتقم لنفسه قط إلا أن تُنْتَهَك حُرمةُ الله، فينتقم لله)). رواه الشيخان(١).

ولما فعل به المشركون ما فعلوا في هجرة الطائف وعرض عليه مَلَكُ الجبال أن يُطْبِقَ على أهل مكة الأخشبين، قال ﷺ: ((بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا)). رواه الشيخان(٢).

وفي أُحُد لما شَجُّوا وجهَه، ودخلت حَلْقتا المِغْفَر في وَجْنته، وطُلب منه أن يدعوَ عليهم قال: ((اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)). رواه ابن حبان والطبراني(٣).

وبعدها في فتح مكة فقد عفا وصفح وقال: ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم. فقال: ((أقول كما قال أخي يوسف: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْۖ﴾ [يوسف ٩٢])). رواه ابن سعد والنسائي(٤).

وعن أنس رضي الله عنه: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتقِ رسول الله ﷺ قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته، ثم قال: يا

---

(١) البخاري (٣٦٥٠)، ومسلم (٢٣٢٧).

(٢) البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

(٣) ابن حبان (٩٧٣) مختصرًا، والطبراني في المعجم الكبير مطولًا (٥٨٦٢).

(٤) ابن سعد في الطبقات (٢١٣/٢). والنسائي في السنن الكبرى (٣٨٢/٦).
والطحاوي في معاني الآثار (٣٢٥/٣). وابن زَنْجَوَيْه في الأموال.

محمد مُرْ لي من مال الله الذي عندك. فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثم ضحك ثم أمر له بعطاء. متفق عليه[١].

وروى مسلم[٢] عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده، ولا امرأة ولا خادمًا، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نِيلَ منه شيء قط فينتقمَ من صاحبه إلا أن يُنتهكَ شيء من محارم الله.

فصلى الله عليه وسلم، وأقر عينه باتباع المسلمين سنته.

وفي إسلام زيدِ بن سَعْنة رضي الله عنه حيث أدان النبي ﷺ أربعين صاعًا من تمر، وجاء يطلبها قبل الأجل بثلاثة أيام، وأمسك بتلابيبه ﷺ وجذبه من بردته، وأثرت حاشية برده في عنقه، وقال: يا محمد، أعطني حقي، إنكم يا بني عبد مناف قوم مُطُلٌ[٣]. فسارع الصحابة رضي الله عنهم إلى سيوفهم، وأشار إليهم النبي ﷺ أنْ كُفُّوا. فوقف الجميع، فقال ﷺ: ((دعوه؛ فإن لصاحب الحق مقالًا، هلا مع صاحب الحق كنتم)).

وكان عمر رضي الله عنه قد انتهره، فقال ﷺ: ((يا عمر، كنت أنا وهو أحوج منك لغير هذا؛ كان عليك أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن الاقتضاء))، ثم قال: ((من كان عنده تمر فليعطنا)) فقال عمر: أنا يا رسول الله. قال ﷺ: ((أعطه أربعين، وزِدْه عشرين لكونك انتهرته)).

---

(١) البخاري (٥٨٠٩)، ومسلم (١٠٥٧).

(٢) مسلم (٢٣٢٨).

(٣) مُطُل: جمع مَطُول، على وزن فَعُول بمعنى فاعل، كغفور.

فأسلم زيد ﷺ وقال: لقد عرفت محمدًا حين رأيته، وبقي علي شيء فاختبرته فوجدته حلمه يسبق جهلَه، ولا تزيده زيادة الجهل عليه إلا حلمًا، فعرفت أنه هو النبي ﷺ. أخرجه ابن حبان والحاكم[1].

الجود والكرم والسخاء والسماحة:

كان ﷺ لا يُوازَى في هذه الأخلاق الكريمة، فقد روى الشيخان[2] عن جابر ﷺ أنه قال: ما سئل عليه الصلاة والسلام عن شيء قط فقال: لا.

وروى الشيخان[3] عن ابن عباس ﷺ أنه قال: كان ﷺ أجودَ الناس بالخير، وكان أجودُ ما يكون في شهر رمضان حين يلقاه جبريل، وكان إذا لقيه جبريل أجودَ بالخير من الريح المُرْسَلة.

وحسبك شاهدًا في هذا الباب ما فعله مع بني المُصْطَلِقِ، وما فعله مع هَوَازِنَ من رد السَّبْيِ إليها، وما فعله يوم فتحِه مكةَ، ويوم تقسيمِ السبي من إعطاء المؤلفةِ قلوبُهم، فقد أعطى أبا سفيان وابنيه معاويةَ ويزيدَ، وأعطى حَكِيمَ بن حزام، وأعطى صفوانَ بن أمية شِعْبًا مملوءًا نَعَمًا وشاءً -كان رآه - برمته، فقال له ﷺ: ((هل يعجبك هذا؟)) قال: نعم. قال: ((هو لك)). فقال صفوان: ما طابت بهذا نفس أحد. وكان سبب إسلامه.

---

(١) ابن حبان (٢٨٨)، والحاكم (٣/٧٠٠) وصححه. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٤٣٣): رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٢) البخاري (٦٠٣٤)، ومسلم (٢٣١١).

(٣) البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨).

وحُمل إليه ﷺ تسعون ألفًا، فوضعها على حصير، وأخذ يقسمها، فما قام حتى فَرَغ منها.

وجاء رجل فسأله أن يعطيه، فقال ﷺ: ((ما عندي شيء، ولكن ابْتَعْ عَلَيّ، فإذا جاءني شيء قضيتُه)). فقال له عمر: ما كلفك الله ما لا تقدر عليه. فكره ذلك عليه الصلاة والسلام، فقال له رجل من الأنصار: يا رسول الله، أنفِقْ ولا تَخَفْ من ذي العرش إقلالًا. فتبسم عليه الصلاة والسلام، وعُرف البِشْرُ في وجهه، وقال: ((بهذا أُمِرْتُ)). رواه الترمذي في الشمائل[1].

والأخبار بجوده وكرمه عليه الصلاة والسلام كثيرة.

الشجاعة والنجدة:

كان ﷺ منهما بالمكان الذي لا يُجهل، قد حضر المواقفَ الصعبة، وفَرَّ الكُمَاةُ والأبطالُ عنه غيرَ مرة، وهو ثابت لا يَبْرَح، ومُقْبِلٌ لا يُدبر ولا يتزحزح.

وما من شجاع إلا أُحْصيت له فَرَّةٌ، وحُفظت عنه جَوْلَةٌ سواه، وفي غزوة حنين لما حدث ما حدث، وتفرق المسلمون، ولم يبق حولَ رسولِ الله ﷺ إلا نفرٌ قليل، والرسولُ ﷺ على بغلته يقول:

((أنا النبي لا كَذِبْ أنا ابنُ عبد المطلبْ))

حتى كادت بغلته تدخلُ بين القوم. متفق عليه[2].

---

(١) الترمذي في الشمائل (٣٥٠).

(٢) البخاري (٨٦٤)، ومسلم (١٧٧٦).

وقال علي ﷺ: إنا كنا إذا اشتد البأس واحمرت الحَدَقُ اتقينا برسول الله ﷺ، فما يكون أحدٌ أقربَ إلى العدو منه، ولقد رأيتُني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي ﷺ وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأسًا. رواه أحمد والنسائي، وأخرج مسلم بعضه عن البراء ﷺ[1].

وقال أنس ﷺ: كان عليه الصلاة والسلام أحسن الناس، وأجودَ الناس، وأشجعَ الناس، ولقد فزع أهلُ المدينة ليلةً، فانطلق ناس قِبَلَ الصوت، فتلقاهم النبي ﷺ راجعًا، قد سبقهم إلى الصوت، واستبرأ الخبر، على فرسٍ لأبي طلحة عُرْيٍ، والسيف في عنقه، وهو يقول: ((لن تُرَاعُوا)). رواه الشيخان[2].

وقال ابن عمر ﷺ: ما رأيتُ أشجعَ ولا أنجدَ ولا أجودَ ولا أوضأ من رسول الله ﷺ. رواه الدارمي وابن سعد[3].

وفي سيرة ابن اسحق: جاء أبيٌّ بن خلف وهو يقول: أيْ محمد، لا نجوتُ إن نجوتَ. فتناول رسول الله حربة وانتفض بها انتفاضة، ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة تدحرج منها عن فرسه مرارًا. فلما رجع أبيٌّ إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشًا غير كبير فاحتقن الدم، قال: قتلني والله محمد. قالوا له: ذهب والله فؤادك! والله إنْ بك من بأس. قال: والله لو بصق علي لقتلني. فمات عدو الله بسَرِفَ، وهم قافلون إلى مكة.

---

(١) مسند أحمد ٨٦/١ و١٢٦ و١٥٦. وسنن النسائي الكبرى (٨٥٨٥). ومسلم (١٧٧٦).

(٢) البخاري (٢٩٠٨)، ومسلم (٢٣٠٧).

(٣) سنن الدرامي (٤٤/١)، وابن سعد في الطبقات (٣٧٣/١) و(٤١٨).

الحياء والإغضاء:

كان عليه الصلاة والسلام أشدَّ الناس حياءً، وأكثرَهم عن العوراتِ إغضاءً.

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: كان عليه الصلاة والسلام أشدَّ حياءً من العذراء في خِدْرها، وكان إذا كره شيئًا عرفناه في وجهه. متفق عليه[1].

وكان عليه الصلاة والسلام لطيفَ البشرة، رقيق الظاهر، لا يُشافِهُ أحدًا بما يكرهه حياءً وكَرَمَ نفس.

قالت عائشة رضي الله عنها: كان ﷺ إذا بلغه عن الرجل الشيءُ لم يقل: ما بالُ فلانٍ يقول، ولكن يقول: ((ما بال أقوام يقولون كذا وكذا)) رواه أبو داود[2]. فينهى عنه ولا يسمي فاعله.

وقالت عائشة رضي الله عنها: لم يكن ﷺ فاحشًا ولا مُتَفَحِّشًا، ولا صَخّابًا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئةِ السيئةَ، ولكن يعفو ويصفَح. رواه الترمذي وصححه[3].

وقد استأذن عُيينةُ بنُ حِصْنٍ على النبي ﷺ، فلما رآه قال: ((بئس أخو العشيرة، وبئس ابن العشيرة)). فلما دخل عليه هَشَّ له وبَشّ، فلما خرج سألته السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، عندما استأذن قلت: ((بئسَ أخو

(١) رواه البخاري (٣٥٦٢)، ومسلم (٢٣٢٠).
(٢) أبو داود (٤١٥٦).
(٣) الترمذي (٢٠١٦).

العشيرة)) فلما دخل تطلّقْتَ في وجهه وانبسطت إليه، قال: ((متى عَهِدْتِنِي يا عائشة فاحشًا؟ إنّ شر الناس عند الله منزلةً يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره)). رواه البخاري[1].

قال القاضي عياض: لم يكن عُيينةُ والله أعلم حينئذٍ أسلَمَ، أو أسلم ولم يكن إسلامه ناصحًا.

وفيه جوازُ غِيبةِ الفاسق المُعْلِن للفسق أو الفحش، مع جواز مداراتهم، اتقاءً لشرهم، ما لم يؤد ذلك إلى المداهنة في دين الله.

والمداراة: بذلُ الدنيا لصلاح الدنيا أو الدين أو هما معًا، وهي مباحة، وربما استُحْسنت فكانت مستحبة أو واجبة.

والمداهنة: بذل الدين لصلاح الدنيا.

حسن عشرته ﷺ وأدبه وبسط خلقه مع أصناف الخلق:

هذا مما انتشرت به الأخبار الصحيحة؛ قال علي رضي الله عنه: كان ﷺ أوسعَ الناس صدرًا، وأصدقَ الناس لهجة، وألينَهم عَرِيكةً (سلسًا مطواعًا قليل الخلاف والنفور)، وأكرمَهم عِشْرة. رواه الترمذي[2].

(١) البخاري (٦٠٣٢).

(٢) الترمذي (٣٦٣٨).

وكان ﷺ يؤلفهم ولا ينفرهم، ويُكرم كريم كل قوم، ويُوَلّيه عليهم، ويَحْذَرُ الناسَ ويحترس منهم، من غير أن يَطْوِيَ عن أحدٍ منهم بِشْرَه، ولا خُلُقه، ويتفقد أصحابَه رضي الله عنهم...

ويعطي كل جلسائه نصيبه، لا يحسب جليسُه أن أحدًا أكرمُ عليه منه، من جالسه أو قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرفَ عنه، ومن سأله حاجة لم يَرده إلا بها أو بميسور من القول، قد وسع الناسَ بسطُه وخُلُقُه فصار لهم أبًا، وصاروا عنده في الحق سواء، وكان دائمَ البِشْر، سهلَ الخُلق، لينَ الجانب، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخّاب (الصخاب: الضجّه وارتفاع الصوت عند الخصام)، ولا فاحشٍ ولا عياب، ولا مداح. يتغافل عما لا يشتهي، ولا يُؤْيِس منه راجية. رواه الترمذي في الشمائل[1].

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٩] وقال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فُصّلَت: ٣٤].

وكان ﷺ يُجيب مَن دعاه، ويقبل الهديةَ ولو كانت كُراعًا، ويكافئ عليها. وكان يمازح أصحابه رضي الله عنهم، ويخالطهم ويحادثهم، ويلاعب صبيانهم، ويجلسهم في حِجْرِه، ويجيب دعوة الحر والعبد، والأمة والمسكين، ويعود المرضى في أقصى المدينة، ويقبل عذرَ المعتذِر.

---

(١) الترمذي في الشمائل (٣٣٠).

وقال أنس رضي الله عنه: ما رأيتُ رجلًا التقَمَ أذُنَ النبي ﷺ فينحّي رأسه حتى يكونَ الرجلُ هو الذي ينحي رأسه، وما رأيتُ رجلًا أخذ بيده فترك يده حتى يكون الرجل هو الذي يدع يده. رواه أبو داود(١).

وكان ﷺ يبدأ من لقيه بالسلام، ويبدأ أصحابه رضي الله عنهم بالمصافحة، لم يُرَ قط مادًّا رجليه بين أصحابه حتى يُضَيِّقَ بها على أحد.

يكرم من يدخل عليه، وربما بسط له ثوبه، ويؤثره بالوسادة التي تحته، ويعزم عليه في الجلوس عليها إن أبى، ويَكْنِي أصحابه رضي الله عنهم، ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمةً لهم، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوَّز، فيقطعه بنهي أو قيام، وكان أكثرَ الناس تبسمًا، وأطيبَهم نفسًا، ما لم ينزلْ عليه قرآن أو يَعِظْ أو يخطُبْ.

الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق:

وصفه الله بها في قوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

روي أن أعرابيًا جاءه يطلب منه شيئًا، فأعطاه ثم قال: ((أأحسنتُ إليك؟)) قال الأعرابي: لا، ولا أَجْمَلْتَ. فغضب المسلمون وقاموا إليه، فأشار إليهم أن كُفوا، ثم قام ودخل منزله، وأرسل إليه وزاده شيئًا، ثم قال: ((أأحسنت

(١) أبو داود (٤١٦١).

إليك؟)) فقال: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرًا. فقال عليه الصلاة والسلام: ((إنك قلتَ ما قلتَ وفي أنفسِ أصحابي من ذلك شيء، فإن أحببتَ فقل بين أيديهم ما قلتَ بين يدي، حتى يَذْهَبَ ما في صدورهم عليك)). قال: نعم.

فلما كان الغد أو العشي جاء فقال ﷺ: ((إن هذا الأعرابي قال ما قال، فزدناه، فزعم أنه رضي، أكذلك؟)) قال: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرًا.

فقال ﷺ: ((مَثَلي ومَثَلُ هذا مَثَلُ رجل له ناقة شَرَدَتْ عليه، فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورًا، فناداهم صاحبها: خَلُّوا بيني وبين ناقتي، فإني أَرْفَقُ بها منكم وأعلم، فتوجه لها بين يديها، فأخذ لها من قمام الأرض، فردها حتى جاءت واستناخت، وشد عليها رحلها، واستوى عليها، وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار)). رواه البزار وأبو الشيخ بن حَيّان[1].

وقال ﷺ: ((لا يُبَلّغُني أحد منكم عن أصحابي شيئًا، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر)). رواه أبو داود والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه[2].

(١) أبو الشيخ بن حيان في كتابيه "أخلاق النبي ﷺ" (١٧٠) و"أمثال الحديث" (٢٢٦). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٧٦/٨): رواه البزار، وفيه إبراهيم بن أبان، وهو متروك.

(٢) أبو داود (٤٢١٨) والترمذي (٣٨٩٦).

وكان يسمع بكاء الصبي، فيتجوّز في صلاته. رواه البخاري[١].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: كان ﷺ يتخولنا بالموعظة مخافةَ السآمة علينا. متفق عليه[٢].

وأما خُلقه ﷺ في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم، فعن عبد الله بن أبي الحَمْساء رضي الله عنه قال: بايعت النبي عليه الصلاة والسلام ببيعٍ قبلَ أن يُبعث، وبقيتْ له بقيةٌ، فوعدته أن آتيَه بها مكانه، فنسيتُ. ثم ذكرتُ بعد ثلاث، فجئت فإذا هو في مكانه، فقال: ((يا فتى! لقد شققتَ عليَّ! أنا هنا منذ ثلاثٍ أنتظرُك)). رواه أبو داود[٣].

وكان إذا أُتي بهدية قال: ((اذهبوا بها إلى فلانة، فإنها كانت صديقةَ خديجة، اذهبوا به إلى بيت فلانة فإنها كانت تحب خديجة)) رواه البخاري في الأدب المفرد والحاكم وابن حبان[٤].

وكان ﷺ يصِلُ ذَوِي رَحِمِه من غير أن يُؤْثرهم على من هو أفضلُ منهم.

---

(١) البخاري (٧٠٧).

(٢) البخاري (٦٨)، ومسلم (٢٨٢١).

(٣) أبو داود (٤٣٤٤).

(٤) البخاري في الأدب المفرد (٢٣٢) والحاكم (١٩٣/٤) وابن حبان (٧٠٠٧).

وقدم عليه وفد النجاشي، فقام يخدُمُهم بنفسه، فقال له أصحابه رضي الله عنهم: نكفيك؟ فقال: ((إنهم كانوا لأصحابنا مُكْرِمين، وإني أحب أن أكافئَهم)). رواه البيهقي في الشعب[1].

وفي حديث خديجة رضي الله عنها قالت للنبي ﷺ: أبشر، فوالله لا يُخزيك الله أبدًا، إنك لَتَصِلُ الرحِمَ، وتحمِلُ الكَلَّ، وتَكْسِبُ المعدومَ، وتَقْرِي الضيف، وتُعين على نوائب الحق (أي على الحوادث على الخلق بتقدير الحَقّ). متفق عليه[2].

ومما روي من اتساع خُلقه وحِلْمه: اتساعُ خُلقه للمنافقين. فقد كانوا يؤذونه ﷺ إذا غاب، ويتملّقون له إذا حضر، وذلك مما تنفر منه النفوس البشرية حتى تؤيدها العناية الربانية.

وكان ﷺ كلما أُذِنَ له في التشديد عليهم فتح لهم بابًا من الرحمة، فكان يستغفر لهم، ويدعو لهم، حتى أنزل الله عليه ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [التّوبَة: ٨٠]. فقال عليه الصلاة والسلام: ((خَيّرني ربي فاخترت أن أستغفر لهم)). ولما قال تعالى: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التّوبَة: ٨٠]. فقال ﷺ: ((لأزيدن على السبعين)). رواه ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيرهما.

وأجيب عما يرد عليه بأجوبة، أجودُها أن النهي عن الاستغفار لمن مات مشركًا لا يستلزم النهيَ عنه لمن مات مظهرًا للإسلام، لاحتمال كونه صحيحًا،

---

(١) البيهقي في الشعب (٥١٨/٦).

(٢) البخاري (٤)، ومسلم (١٦٠).

ولا ينافيه بقيةُ الآية، لجواز أن الذي نزل أولًا إلى قوله: ﴿ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التّوبَة: ٨٠]، بدليل تمسكه بالظاهر، حتى يقوم الدليل الصارف عن ذلك، فكشف الله الغطاء بعد ذلك، وقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التّوبَة: ٨٠].

وأمر ﷺ وَلَدَ الذي تولى كِبْرَه بالنفاق والأذى منهم بِبِرّ أبيه، ولما مات كفنه في ثوب خلعه عن بدنه، وصلى عليه بناء على طلب ابنه، فأنزل الله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [التّوبَة: ٨٤]. متفق عليه(١).

وقال النووي في شرح مسلم: قيل: إنما أعطاه قميصه وكفنه فيه تطييبًا لقلب ابنه، فإنه كان صحابيًا صالحًا، وقد سأل ذلك فأجابه إليه، وقيل: فعله مكافأة للأب المنافق حيث ألبس العباسَ حين أُسِرَ يوم بدر قميصًا. ا.هـ.

ومن ذلك: أنه ﷺ لم يُؤاخذ لَبِيدَ بن الأَعْصَم إذ سحره، وعفا عن اليهودية التي سَمّته في الشاة. على الصحيح من الرواية.

ومن ذلك إشفاقه على أهل الكبائر من أمته، وأمرُه إياهم بالستر، فقال: ((اجتنبوا هذه القاذوراتِ التي نهى الله عنها، فمن أَلَمّ بشيء منها فليستتر بستر الله، ولْيَتُبْ إلى الله...)) أخرجه الحاكم والبيهقي في السنن عن ابن عمر رضي الله عنهما(٢).

---

(١) البخاري (١٢٦٩)، ومسلم (٢٤٠٠).

(٢) المستدرك (٢٧٢/٤) و(٤٢٥) وصححه، والسنن الكبرى للبيهقي (٣٣٠/٨).

وأمر أُمّته أن يستغفروا للمحدود ويترحموا عليه، لَمّا حنقوا عليه فسبوه ولعنوه، فقال: ((لا تقولوا هكذا، لا تعينوا عليه الشيطان)). رواه البخاري، وزاد أبو داود وأحمد ((وقولوا: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه))[١].

وقال لهم في رجل كان كثيرًا ما يؤتي به سكرانَ بعد تحريم الخمر، فلعنوه مرة، فقال: ((لا تلعنوه؛ فوالله ما علمتُ: إنه يحب الله ورسوله)) رواه البخاري[٢]. وفي رواية غير البخاري: ((لا تكونوا عونًا للشيطان على أخيكم)).

ومن ذلك ما رواه الطبراني في الأوسط برجال ثقات[٣] من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه كان يُصْغِي إلى الهرةِ الإناءَ حتى تشرَبَ، ثم يتوضأ بفَضْلِها.

تواضعه ﷺ:

هو ﷺ على علو منصبه ورفعة رتبته كان أشدَّ الناس تواضعًا، وحسبك أنه خُير بين أن يكون نبيًا ملكًا، أو نبيًا عبدًا، فاختار أن يكون نبيًا عبدًا. رواه أحمد والبيهقي في السنن الكبرى.

---

(١) البخاري (٦٧٧٧)، أبو داود (٣٨٨٢)، مسند أحمد (٢٩٩/٢).

(٢) البخاري (٦٧٨٠) ومسند أحمد (٣٩١/١) و(٤٣٩) و(٤٣٨).

(٣) المعجم الأوسط (٥٥/٨) و(٧٩٤٩) وأصله في سنن أبي داود (٧٦).

فأعطاه الله بتواضعه أن جعله أولَ من تَنْشقُّ عنه الأرض، وأولَ شافع ومشفع، فلم يأكل متكئًا[1] بعد ذلك حتى فارق الدنيا. وقال: ((إنما أنا عبد؛ آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد)). قال في مجمع الزوائد: رواه أبو يعلى بإسناد حسن[2].

وقد قال ﷺ: ((لا تُطْرُوني (لا تجاوزوا الحدّ والاطراء في مدحي) كما أَطْرَتِ النصارى ابنَ مريم؛ إنما أنا عبدُه، فقولوا: عبدُ الله ورسوله)). رواه البخاري[3].

وكان لا يَنْهَرُ خادمًا، روى الشيخان[4] عن أنس رضي الله عنه قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي أف قط، ولا قال لشيء صنعتُه: لم صنعتَ هذا هكذا، ولا لشيء تركتُه: لم تركتَه، ولكن يقول: ((قَدّر الله وما شاء فعل، ولو قدر الله كان، ولو قُضي لكان)).

وكذلك كان ﷺ مع عبيده وإمائه، ما ضرب منهم أحدًا قط، وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه[5]: ما رأيت أحدًا كان أرحمَ بالعيال من رسول الله ﷺ.

---

(١) أي مائلًا إلى أحد الجانبين كما جزم به ابن الجوزي، أو معتمدًا على وطاء تحته، جزم به الخطابي وعزاه في الشفا للمحققين، أو معتمدًا على شيء، أو على يده اليسرى من الأرض.

(٢) مسند أبي يعلي (٤٩٢٠)، ومجمع الزوائد (٥٨٢/٨).

(٣) البخاري (٣٤٤٥).

(٤) البخاري (٦٠٣٨)، ومسلم (٢٣٠٩)، ومسند أحمد (٢٣١/٣).

(٥) مسلم (٢٣١٦).

وقالت عائشة رضي الله عنها: ما ضرب ﷺ شيئًا قط، ولا ضرب امرأةً ولا خادمًا، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نِيلَ منه شيء فينتقمَ من صاحبه إلا أن يُنْتَهَك شيء من محارم الله، فينتقمَ لله. رواه مسلم[1].

وسئلت عائشة رضي الله عنها: كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا في بيته؟ قالت: ألْيَنَ الناس بسّامًا ضحّاكًا. رواه إسحاق بن راهويه في مسنده والخرائطِي في مكارم الأخلاق وابن عساكر[2].

وعند أحمد وصححه ابن حبان[3] عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يَخِيط ثوبَه، ويَخْصِفُ (يَخْرِز) نعلَه.

وفي رواية لأحمد وابن حبان[4]: ويُرَقّع دلوَه، ويَفْلِي ثوبَه، ويحلُب شاته، ويخدُم نفسه.

وروى ابن سعد في الطبقات عن أنس رضي الله عنه[5]: كان رسول الله ﷺ يركب الحمار، ويُرْدِف خلْفَه.

---

(١) مسلم (٢٣٢٨).

(٢) مسند إسحاق (٢/٤٣٤) و(٨٨٢) و(٣/١٠٠٨) و(١٥٦٨)، ومكارم الأخلاق (٤٥).

(٣) أحمد (٦/١٢٠) صحيح ابن حبان (٥٦٧٧).

(٤) أحمد (٦/٢٥٦) وابن حبان (٥٦٧٦).

(٥) الطبقات الكبرى (١/٣٧٠)، ومصنف عبد الرزاق (١٠/٤١٨) و(١٩٥٥٥).

وحج ﷺ على رَحْلٍ رثٍّ، وعليه قطيفةٌ لا تساوي أربعة دراهم، فقال: ((اللهم حجة لا رياء فيها ولا سُمْعة)). رواه ابن ماجه والترمذي في الشمائل[1]. هذا وقد فتحت عليه الأرض، وأهدى في حجه هذا مائةَ بدنة.

ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طأطأ على رحله رأسَه، حتى كاد يَمَسَّ قادمتَه، تواضعًا لله تعالى.

وفي البخاري[2] من حديث أنس رضي الله عنه: أقبلْنا مع رسول الله ﷺ من خيبرَ، وإني لَرَدِيفُ أبي طلحة، وهو يسير، وبعض نساء رسول الله ﷺ رَدِيفُ رسول الله ﷺ، إذ عَثَرَتِ الناقة، فقلتُ: المرأةَ! فنزلتُ، فقال ﷺ: ((إنها أمكم)). فشددتُ الرحل، وركب رسول الله ﷺ، فلما دنا ورأى المدينة قال: ((آيبون تائبون عابدون، لربنا حامدون)). والمرأة صفيةُ بنتُ حُيَيٍّ أم المؤمنين رضي الله عنها.

وفي البخاري[3]: ولما قدم ﷺ مكة استقبله أُغَيْلِمةُ بني عبد المطلب، فحمل واحدًا بين يديه، وآخر خلفه.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أَتَى رسولُ الله ﷺ وقد حمل قُثَمَ بين يديه، والفضلَ خلفه، أو قثمَ خلفه، والفضل بين يديه. رواه البخاري[4].

---

(١) ابن ماجه (٢٨٩٠) والترمذي في الشمائل (٣٣٤) و(٣٤٠).
(٢) البخاري (٥٩٦٨).
(٣) البخاري (١٧٩٨).
(٤) البخاري (٥٩٦٦).

وجاءته ﷺ امرأة كان في عقلها شيء، فقالت: يا رسول الله إن لي إليك حاجةً. فقال ﷺ: ((يا أم فلان! اجلسي في أيِّ نواحي السِّكَكِ شئتِ حتى أجلسَ إليك)) رواه أحمد ومسلم وأبو داود عن أنس رضي الله عنه[1]. وفي رواية مسلم: ((حتى أقضيَ لك حاجتَك)).

وقال عبد الله بنُ أبي أَوْفَى رضي الله عنه: كان عليه الصلاة والسلام لا يأنَفُ أن يمشي مع الأرملةِ والمسكين فيقضيَ له الحاجة. رواه النسائي[2].

وروى البخاري[3] عن أنس رضي الله عنه: إنْ كانت الأمة في إماء أهل المدينة لتأخذُ بيد رسول الله ﷺ، فتنطلقُ به حيث شاءت.

حسن عشرته ﷺ مع أزواجه:

ينام مع الواحدة منهن على فراش واحد. قال النووي: وهو ظاهر فعله الذي واظب عليه، مع مواظبته على قيام الليل، فينام مع إحداهن، فإذا أراد القيام لوظيفته قام وتركها، فجمع بين وظيفته وأداء حقها المندوب وعشرتها بالمعروف، وقد عُلم أن اجتماع الزوج مع زوجته في فراش واحد أفضل. اهـ.

وكان ﷺ يرسل إلى عائشة رضي الله عنها بناتِ الأنصار يلعبن معها.

---

(١) مسلم (٢٣٢٦) ومسند أحمد (١١٩/٣) وأبو داود (٤١٨٢).

(٢) النسائي (١٤١٤).

(٣) البخاري (٦٠٧٢).

وكان يسابقها، روى أبو داود[1] عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت مع النبي ﷺ في سفر، قالت: فسابقته فسبقته على رجْلَيّ، فلما حملتُ اللحمَ سابقته فسبقني، فقال: ((هذه بتلكِ السَّبْقة)).

وروى البخاري[2] عن أنس رضي الله عنه قال: كان ﷺ عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصَحْفةٍ فيها طعام، فضربت التي في بيتها يدَ الخادم فسقطت الصحفة، فانفلقَتْ، فجمع ﷺ فِلَقَ الصَّحفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة، ويقول: ((غارت أمكم)) ثم حبس الخادم حتى أُتِيَ بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة إلى التي كُسرت صَحْفتُها، وأمسك المكسورةَ في بيت التي كَسَرتْ. وعند النسائي[3] تسمية السيدة عائشة رضي الله عنها.

وهكذا كانت أحواله ﷺ مع أزواجه، لا يأخذ عليهن ويعذرهن، وإنْ أقام عليهن قسطاسَ العدل.. أقامهُ من غير قلق ولا غضب، بل هو رءوف رحيم حريص عليهن، وعلى غيرهن. وفي الحديث إشارة إلى عدم مؤاخذة الغَيْرَى فيما يصدر عنها؛ لأنها في تلك الحالة يكون عقلها محجوبًا بشدة الغضب الذي أثارته الغيرة.

---

(١) أبو داود (٢٢١٤).

(٢) البخاري (٥٢٢٥).

(٣) النسائي (٣٩٥٦).

وروى البزار والطبراني في الكبير[1] عن ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: ((إن الله كتب الغَيْرَةَ على النساء، والجهادَ على الرجال، فمن صبر منهن كان لها أجر شهيد)).

وكان ﷺ يباسط أصحابه ﷺ بما يولج حبه في القلوب، ويخالطهم ويحادثهم، ويأخذ معهم في تدبير أمورهم، ويداعب صبيانَهم، ويُجلسهم في حِجْره.

وقد أخرج الترمذي[2] وصححه عن أبي هريرة ﷺ قالوا: إنك تداعبنا! قال: ((إني لا أقول إلا حقًا)).

خوفه من ربه وطاعته له وشدة عبادته ﷺ:

أما خوفه من ربه وطاعته وشدة عبادته ﷺ فعلى قدر علمه بربه.

وقال ﷺ: ((والله لو تعلمون ما أعلم لَضحكتُم قليلًا، ولَبَكَيْتُم كثيرًا)) متفق عليه[3].

وعن أبي ذر ﷺ قال: قال ﷺ: ((إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أَطّتِ السماءُ، وحُقّ لها أن تَئِطّ؛ ما فيها موضعُ أربعِ أصابعَ إلا ومَلَكٌ واضعٌ جبهتَه ساجدًا لله، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا،

(١) مسند البزار (٣٠٩/٤) والطبراني في الكبير ٨٧/١٠.

(٢) الترمذي (١٩٩٠).

(٣) البخاري (١٠٤٤)، ومسلم (٩٠١) عن عائشة ﷺ. البخاري (٤٦٢١)، ومسلم (٤٢٦) عن أنس ﷺ. البخاري (٦٤٨٥) عن أبي هريرة ﷺ.

ولَبَكَيْتم كثيرًا، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولَخَرَجْتم إلى الصَّعُدات تجأرون إلى الله)) قال أبو ذر: لَوَدِدْتُ أني شجرةٌ تُعضَدُ. رواه أحمد والترمذي وحسنه[1].

وروى الشيخان[2] عن المغيرة رضي الله عنه قال: صلى رسول الله ﷺ حتى انتفخت قدماه، وفي رواية لهما: كان يصلي حتى تَرِمَ قدماه، فقيل له: أَتَكَلَّفُ هذا وقد غَفَرَ الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: ((أفلا أكون عبدًا شكورًا)).

وروى الشيخان[3] عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان عملُ رسول الله ﷺ دِيمةً، وأيكم كان يُطيق ما كان يُطيق؟.

وروى الشيخان[4] عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول: لا يفطر، ويفطر حتى نقول: لا يصوم.

وقال أنس رضي الله عنه: كنتَ لا تشاءُ أن تراه في الليل مصليًا إلا رأيتَه مصليًا، ولا نائمًا إلا رأيتَه نائمًا. رواه البخاري والترمذي[5].

---

(١) مسند أحمد (٥/١٧٣) والترمذي (٢٣١٢).
(٢) البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩).
(٣) البخاري (١٩٨٧)، ومسلم (٧٨٣).
(٤) البخاري (١٩٦٩)، ومسلم (١١٥٦).
(٥) البخاري (١١٤١)، والترمذي (٧٦٩).

وعن عبد الله بنِ الشِّخِّير رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي، ولِجَوْفِه أزيزٌ كأزيز المِرْجَل، من البكاء. رواه أبو داود والنسائي[1].

وروى مسلم[2] عن الأغرّ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة)).

وروى البخاري[3] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة)).

عدله وأمانته وعفته وصدق لهجته ﷺ:

كان ﷺ آمنَ الناس، وأعدَلَ الناس، وأعفَّ الناس، وأصدقَهم لهجةً، منذ كان، اعترف له بذلك مُحَادُّوه وأعداؤه، وكان يسمى قبل نبوته الأمينَ.

ولما اختلفت قريشٌ وتحاربت عند بناء الكعبة فيمن يضع الحَجَر الأسود، حكّموا أولَ من دخل عليهم، فإذا بالنبي ﷺ داخل، وذلك قبل نبوته، فقالوا: هذا محمد، هذا الأمين، قد رَضِينا به. رواه أحمد والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم[4].

---

(١) أبو داود (٧٦٩) والنسائي (١٢١٤).

(٢) مسلم (٢٧٠٢).

(٣) البخاري (٦٣٠٧).

(٤) أحمد (٤٢٥/٣) والحاكم (٦٢٨/١).

وعن الربيع بن خُثَيْمٍ: كان يُتَحَاكمُ إلى رسول الله ﷺ في الجاهلية قبل الإسلام. رواه ابن سعد وأحمد في الزهد[1].

والربيع هذا روى عن ابن مسعود رضي الله عنه، وكان ورعًا قانتًا مُخْبتًا، حتى قال ابن مسعود له: لو رآك النبي ﷺ لأحبك. فطوبى له ثم طوبى.

وقال ﷺ: ((والله إني لأمين في السماء، أمين في الأرض)). رواه عبد الرزاق والطبراني[2].

وعن علي رضي الله عنه أن أبا جهل قال للنبي ﷺ: إنا لا نُكَذِّبُك، ولكن نكذب بما جئتَ به. فأنزل الله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣] رواه الترمذي[3].

وفي سيرة ابن إسحاق[4]: قال النَّضْر بن الحارث لقريش: قد كان محمد فيكم غلامًا حَدَثًا، أرضاكم فيكم، وأصدقَكم حديثًا، وأعظمَكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صُدْغَيْه الشيبَ، وجاءكم بما جاءكم به، قلتم: إنه ساحر! لا والله ما هو بساحر.

---

(١) الزهد للإمام أحمد (١٩٨١).

(٢) مصنف عبد الرزاق ١٠/٨. معجم الطبراني الكبير ٣٣١/١. مسند البزار ٣١٥/٩. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٢٦/٤: وفيه موسى بن عبيدة الرَّبَذي، وهو ضعيف.

(٣) جامع الترمذي (٣٠٦٤).

(٤) ابن إسحاق (١٨١).

وروى الشيخان[1] عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما مست يدُ رسول الله يدَ امرأة، إلا امرأةً يملكها.

وقال ﷺ: ((ويلك! ومن يعدلُ إذا لم أعدل؟ قد خِبْتَ وخسرتَ إن لم أكن أعدل)) رواه الشيخان[2].

قال أبو العباس المُبَرِّد: قَسَمَ كسرى أيامه، فقال: يصلُحُ يومُ الريح للنوم، ويومُ الغيم للصيد، ويومُ المطر للشرب واللهو، ويومُ الشمس للحوائج (حوائج الخلق والنظر في مهماتهم).

قال ابن خالَوَيْهِ: ما كان أعرَفَهم بسياسة دنياهم، يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا، وهم عن الآخرة هم غافلون، ولكن نبينا ﷺ جَزّأ نهاره ثلاثة أجزاء: جزءًا لله، وجزءًا لأهله، وجزءًا لنفسه، ثم جزأ جزءه بينه وبين الناس، فكان يستعين بالخاصة على العامة، ويقول: ((أبلغوني حاجةَ من لا يستطيع إبلاغها؛ فإنه من أبلغ سلطانًا حاجةَ مَن لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه على الصراط يوم القيامة. رواه الطبراني في الكبير بسند حسن والترمذي في الشمائل عن علي رضي الله عنه[3].

(١) البخاري (٧٢١٤)، مسلم (١٨٦٦).

(٢) البخاري (٣٦١٠)، مسلم (١٠٦٣).

(٣) الطبراني في الكبير (١٥٥/٢٢) والترمذي في الشمائل (٣٢٩).

وكان عليه الصلاة والسلام لا يأخذ أحدًا بقَرَفٍ، ولا يصدّق أحدًا على أحد. رواه أبو داود في المراسيل عن الحسن البصري[1]. والقرف: التُّهَمَة.

ذكر مكانته ﷺ عند ربه:

والاصطفاء، ورفعة الذكر، والتفضيل، وسيادة ولد آدم، وما خصه الله به في الدنيا من مزايا الرتب، وبركة اسمه الطيب.

روى الترمذي[2] وصححه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا يا رسول الله، متى وَجَبَتْ لك النبوة؟ قال: ((وآدمُ بين الروح والجسد)).

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ أُتي بالبراق ليلة أسري به مُلْجَمًا مُسْرَجًا، فاستصعَبَ عليه، فقال له جبريل: أبمحمدٍ تفعلُ هذا! فما رَكِبَكَ أحدٌ أكرمَ على الله منه، فارفَضَّ عَرَقًا. رواه الترمذي وحسنه[3].

وروى الشيخان[4] عن أبي هريرة وجابر رضي الله عنهما، أنه ﷺ قال: ((أُعطِيتُ خمسًا —وفي مسلم: فُضّلت على الأنبياء بِسِتٍّ— لم يُعْطَهُنّ نبيٌّ قَبْلي: نُصرتُ بالرعب مسيرةَ شهر، وجُعِلَتْ لي الأرضُ مسجِدًا وطَهُورًا، فأيما رجلٍ من أمتي أدركته الصلاة فليُصَلِّ، وأُحلتْ لي الغنائمُ، ولم تَحِلَّ لنبي قبلي، وبُعثتُ إلى الناس كافة، وأُعطيتُ الشفاعة)).

---

(١) المراسيل (٤٨٥).

(٢) الترمذي (٣٦٠٩).

(٣) الترمذي (٣١٣١).

(٤) البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١)، و(٥٢٣).

وفي رواية الشيخين عن أبي هريرة رضي الله عنه: ((نُصرتُ بالرعب، وأُوتيت جوامعَ الكَلِم، وبينا أنا نائم إذ جيء بمفاتيحِ خزائنِ الأرض، فوُضِعَتْ في يَدَيَّ)) ورواية مسلم عنه: ((وخُتم بي النبيون)).

وروى الشيخان[1] عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه قال: قال ﷺ: إني فَرَطٌ لكم، وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظُرُ إلى حوضي الآن، وإني قد أُعطيتُ مفاتيحَ خزائنِ الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تُشركوا بعدي، ولكني أخاف عليكم أن تَنَافَسوا فيها)).

ولقد اختار الله نبيه محمدًا ﷺ من بين الخلق بالمنزلة الرفيعة، والمكانة العالية، واصطفاه من البشر كلهم؛ ليكون صفوةَ خلقه، وإمامَ أنبيائه، وخاتَمَ رسله، قال ﷺ: ((أنا سيد ولد آدم ولا فخر)) رواه مسلم[2] وقال ((: ((أنا سيد الناس يوم القيامة)). متفق عليه[3].

فهو سيد ولد آدم، وسيد الناس، يَحْمَدُه الأولون والآخرون، ليكون آدمُ ﷺ فمن دونه تحت لوائه يوم القيامة.

---

(١) البخاري (١٣٤٤)، مسلم (٢٢٩٦).

(٢) مسلم (٢٢٧٨).

(٣) البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

الفصـل الثاني

مكـانته ﷺ عند ربه ﷻ

لقد جعل الله سبحانه وتعالى طاعةَ نبيه محمدٍ ﷺ عينَ طاعته تعالى، فقال جَلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾ [النِّساء: ٨٠].

وجعل بيعته ﷺ هي مبايعةَ الله تعالى، قال تعالى: ﴿تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُۚ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ١٠].

ودومًا طاعةُ الله مقترنةٌ بطاعة الرسول ﷺ ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عِمرَان: ٣٢] ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٢].

واستنبط عبد الله بن عباس ﷺ من ذلك بأن من لم يطع الرسول لم يكن مطيعًا لله.

وقد جعل الله سبحانه اتباعَ نبيه ﷺ مُوصولةً لمحبته ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [آل عِمرَان: ٣١].

والإيمانُ بالله مقرون بالإيمان به: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ﴾ [الحَديد: ٧] ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾ [الحُجرَات: ١٥].

وقد جعله الله تعالى رحمةً للعالمين، قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبيَاء: ١٠٧]. وقد قال ﷺ: ((يا أيها الناس، إنما أنا رحمةٌ مُهْداة)). رواه الدارمي والحاكم وصححه(١).

وهو رحمةٌ للمؤمنين خاصةً، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التّوبَة: ١٢٨] وفي آية أخرى: ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْۚ﴾ [التّوبَة: ٦١].

وقد جعله سبحانه أمانًا لأمته، فلا ينزل عليهم عذابٌ بوجوده، بخلاف ما حصل لبعض الأمم السابقة، حيث عذبوا مع وجود أنبيائهم، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ﴾ [الأنفَال: ٣٣]. نزلت عندما قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحقَّ من عندك فأمطر علينا حجارةً من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. متفق عليه عن أنس رضي الله عنه(٢).

(١) سنن الدارمي (١٥) والمستدرك (٩١/١) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٥٧/٨: رواه البزار والطبراني في الصغير والأوسط، ورجال البزار رجال الصحيح.

(٢) البخاري (٤٦٤٨)، مسلم (٢٧٩٦).

وفي مسلم[1] عن أبي موسى ﷺ ((النجومُ أَمَنةٌ للسماء، فإذا ذهبت النجومُ أتى السماءَ ما تُوعَد، وأنا أَمَنةٌ لأصحابي، فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يُوعَدون، وأصحابي أَمَنةٌ لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون)).

فوجوده ﷺ رحمة لأمته وخير، ووفاته ﷺ خير لأمته.

روى البزار بسند رجاله رجال الصحيح[2] عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((حياتي خيرٌ لكم، تُحْدِثون ويُحْدَثُ لكم، ووفاتي خير لكم، تُعْرَض عليَّ أعمالُكم، فما رأيتُ من خيرٍ حَمِدْتُ اللهَ عليه، وما رأيت من شر استغفرتُ الله لكم)).

وروى مسلم[3] عن أبي موسى الأشعري ﷺ، عن النبي ﷺ قال: ((إن الله عز وجل إذا أراد رحمةَ أمةٍ من عباده قبض نبيَّها قبلها، فجعله لها فَرَطًا وسلفًا بين يديها، وإذا أراد الله هَلَكَةَ أمةٍ عذبها ونبيُّها حي، فأهلكها وهو ينظر، فأقر عينه بهَلَكَتِها حين كذبوه وعَصَوْا أمرَه)).

ومن عظيم مكانته ﷺ:

أُعطيَ مضاعفةَ الحسناتِ الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعِمائة ضعف، ((فمن هَمّ بحسنة فلم يعملْها كُتبت له حسنةً، فإن عَمِلَها كتبت له عشرًا إلى سبعمائة

(١) مسلم (٢٥٣١).

(٢) كما في مجمع الزوائد ٩/٢٤.

(٣) مسلم (٢٢٨٨).

ضعف، ومن هَمّ بسيئة فلم يعملْها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له سيئة)). كما في حديث ابن عباس ﷺ المتفق عليه[1].

وقد تولى الإجابةَ عنه سبحانه بالقرآن العظيم، بينما تولى الإجابةَ عن نفسه كلُّ نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ [الطُّور: ٢٩]. ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٩].

وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهو حي صحيح يمشي على الأرض. قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾ [الفتح].

وفي حديث أبي هريرة ﷺ الذي في الشفاعة: ((فيقولون: يا محمد، أنت رسولُ الله وخاتَمُ الأنبياء، وقد غَفَر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك)). متفق عليه[2].

وفي حديث أنس ﷺ الذي في الشفاعة أيضًا: ((ولكن ائتوا محمدًا عبدًا قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر)). متفق عليه[3].

---

(١) البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١).

(٢) البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

(٣) البخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (١٩٣).

ومن ذلك إمامته بجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: فقد روى النسائي[1] أن رسول الله ﷺ قال: ((ثم دخلتُ بيتَ المقدس، فجُمع لي الأنبياءُ، فقدَّمني جبريل حتى أَمَمْتُهم)).

ومن عظيم مكانته أنه يَرى مِنْ وراءِ ظهرِه كما يَرى مِن أمامِه ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((هل تَرَون قِبْلتي ها هنا، فوالله ما يَخْفَى علي خشوعُكم ولا ركوعُكم؛ إني لأراكم مِنْ وراءِ ظهري)) متفق عليه [2].

وفي حديث آخر عند مسلم[3]: ((إني واللهَ لأُبْصِرُ مِنْ ورائي كما أُبْصِرُ مِنْ بينِ يَدَيَّ)).

قال النووي رحمه الله في شرحه لصحيح مسلم: قال العلماء: معناه أن الله تعالى خَلَق له إدراكًا في قفاهُ يُبصر به مِنْ ورائه، وقد اخرقت العادةُ له ﷺ بأكثرَ من هذا، وليس يَمَنَعُ مِن هذا عقلٌ ولا شرع، بل ورد الشرع بظاهره، فوجب القول به.

قال القاضي عِياضٌ: قال أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وجمهور العلماء: هذه الرؤية رؤية بالعين حقيقة، والله أعلم. ا.هـ.

وقد أطلعه الله على المغيبات، وعلى ما تتعرض له أمته من أحداث إلى قيام الساعة.

---

(١) النسائي (٤٥٠).

(٢) البخاري (٤١٨)، ومسلم (٤٢٤).

(٣) مسلم (٤٢٣).

فعن حذيفة ﷺ قال: قام فينا رسولُ الله ﷺ مَقامًا، ما ترك شيئًا يكون في مَقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدَّث به، حَفِظَه مَنْ حَفِظه، ونَسِيَه مَنْ نسيه، قد عَلِمَه أصحابي هؤلاء، وإنه لَيكونُ منه الشيءُ قد نسيته، فأراه فأذكرُه كما يذكرُ الرجل وجهَ الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عَرَفَه. متفق عليه، واللفظ لمسلم(١).

وعن عمرو بن أَخْطَبَ ﷺ قال: صلى بنا ﷺ الفجرَ، وصَعِدَ المنبرَ، فخَطَبنا حتى حَضَرَت الظهرُ، فنزل فصلى، ثم صَعِدَ المنبرَ، فخطبنا حتى حضرت العصرُ، ثم نزل فصلى، ثم صَعِدَ المنبر، فخطبنا حتى غَرَبت الشمس، فأخبرَنا بما كان، وبما هو كائن، فأعلَمُنا أحفَظُنا. رواه مسلم(٢).

(١) البخاري (٦٦٠٤)، ومسلم (٢٨٩١).
(٢) مسلم (٢٨٩٢).

ومن عظيم مكانته عند ربه عز وجل:

أنْ جعل قَرْنَه خيرَ القرون، فهو خير قرون الناس كلهم، وخيرُ قرون أمته، قال ﷺ: ((خيرُ الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)) متفق عليه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه[1].

وسأل رجل رسولَ الله ﷺ: أيُّ الناس خير؟ قال: ((القرنُ الذي أنا فيه، ثم الثاني، ثم الثالث)) مسلم عن عائشة رضي الله عنها[2].

وقد أكرمه الله سبحانه بكرامات كثيرة في الآخرة:

منها: ما جاء في صحيح مسلم[3]، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أنا سيدُ وَلَدِ آدمَ يوم القيامة، وأولُ مَن يَنْشقُّ عنه القبرُ، وأولُ شافع، وأولُ مشفَّعٍ)).

وروى أحمد والترمذي[4] وصححه عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أنا سيدُ وَلَدِ آدَم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لِواءُ الحمدِ ولا فَخْرَ، وما من نبي يومئذ: آدمَ ومن دونه إلا تحت لوائي، وأنا أولُ مَنْ تَنْشقُّ عنه الأرضُ ولا فخر)).

---

(١) البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣).

(٢) مسلم (٢٥٣٦).

(٣) مسلم (٢٢٧٨).

(٤) أحمد (٢/٣) والترمذي (٣١٤٨) و(٣٦١٥).

وروى مسلم[1] عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أنا أكثر الأنبياء تَبَعًا يوم القيامة، وأنا أولُ مَنْ يَقْرَعُ بابَ الجنة)).

وعنه أيضًا في مسلم[2]: ((آتي بابَ الجنة يوم القيامة، فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد. فيقول: بك أُمرتُ لا أفتح لأحدٍ قبلك)).

[إكرام أمته ﷺ:]

ومن عظيم مكانته عند ربه عز وجل:

أنْ أكرم أمته فجعلَها خيرَ الأمم، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البَقَرَة: ١٤٣].

وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عِمرَان: ١١٠].

وفي الصحيحين[3]: ((أنتم شهداء الله في الأرض)). وفي لفظ للبخاري: ((المؤمنون شهداء الله في الأرض)).

---

(١) مسلم (١٩٦).

(٢) مسلم (١٩٧).

(٣) البخاري (١٣٦٧) و(٢٦٤٢). ومسلم (٩٤٩).

ورفع عنها عذابَ الاستئصال، فلا تَهْلِكُ بالسِّنينَ والغرقِ، ولا يُسلَّطُ عليها عدو من غيرها فيستبيحَ بَيْضَتَها حتى لو اجتمع عليها مَنْ بأقطارها. كما جاء في صحيح مسلم[1].

وروى مسلم[2] عن سعد رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: ((سألتُ ربي ثلاثًا، فأعطاني ثِنتين، ومنعَني واحدة؛ سألتُ ربي أن لا يُهْلِكَ أمتي بالسَّنَةِ فأعطانِيها، وسألته أن لا يُهْلِكَ أمتي بالغَرَقِ فأعطانيها، وسألته أن لا يَجعلَ بأسَهم بينهم فَمَنَعنِيها)).

وخُصت بالجمعة، فقد قال ﷺ: ((أَضَلّ الله عن الجمعة مَنْ كان قبلنا، فكان لليهود يومُ السبت، وكان للنصارى يومُ الأحد، فجاء الله بنا، فهدانا الله ليوم الجمعة)). رواه مسلم[3].

وخُصت بصلاة العشاء، ففي البخاري[4] عن عائشة رضي الله عنها، عن رسول الله ﷺ: ((إنه ليس أحد من أهل الأرض يصلي هذه الصلاة غيرُكم)).

وخُصت بأنها لا تجتمع على ضلالة، وأنه ستبقى منها طائفةٌ على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال ﷺ: ((سألتُ الله عز وجل أنْ لا يجمع أمتي على ضلالة، فأعطانِيها)) رواه أحمد في مسنده[5].

---

(١) مسلم (٢٨٨٩).

(٢) مسلم (٢٨٩٠).

(٣) مسلم (٨٥٦).

(٤) البخاري (٨٦٢).

(٥) أحمد في مسنده (٣٩٦/٦).

وقال ﷺ: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك)). متفق عليه[1].

ومما أكرم الله به هذه الأمة:

أنها تكون أولَ من تجتاز على الصراط، قال ﷺ: ((ويُضْرَب الصراطُ بين ظهرَيْ جهنمَ، فأكونُ أنا وأمتي أولَ من يجيز)). متفق عليه[2].

وأنهم أولُ من يدخل الجنة، وأن الجنة محرمة على الناس حتى تدخلها هذه الأمة.

قال ﷺ: ((نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة)). رواه مسلم[3].

وقال ﷺ: ((الجنة حُرمت على الأنبياء حتى أدخلَها، وحُرمت على الأمم حتى تدخلَها أمتي)). رواه الطبراني بسند حسن عن عمر رضي الله عنه[4].

---

(١) البخاري (٣٦٤١)، ومسلم (١٠٣٧).

(٢) البخاري (٧٤٣٨)، ومسلم (١٨٠٢).

(٣) مسلم (٨٥٥).

(٤) كما في مجمع الزوائد (٦٩/١٠).

ومما خصت به هذه الأمة:

أنهم يأتون غُرًّا مُحَجَّلين، قال ﷺ: ((إن أمتي يأتون يوم القيامة غُرًّا مُحَجَّلين (أي بيضُ مواضع الوضوء من الوجه والأيدي والأقدام) من أثر الوضوء، فمن استطاع منكم أن يُطيل غُرَّتَه فليفعل)). متفق عليه[1].

وفي رواية لمسلم: قالوا يا رسول الله، أتعرفنا يومئذ؟ قال: ((نعم، لكم سِيما ليست لأحد من الأمم، تَرِدُون عليَّ غرًا محجلين من أثر الوضوء)).

ومما خصت به هذه الأمة:

أنهم أكثر أهل الجنة.

وقال ﷺ: ((والذي نفسي بيده، إني لأطمع أن تكونوا ربع أهل الجنة)). فحمدْنا الله وكبرْنا. ثم قال: ((والذي نفسي بيده، إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة)). قال: فحَمِدْنا الله وكبرنا. ثم قال: ((والذي نفسي بيده إني لأطمع في أن تكونوا شطر أهل الجنة، إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالرَّقمة في ذراع الحمار)). متفق عليه[2].

وقال ﷺ: ((أهل الجنة عشرون ومائة صَفٍّ، ثمانون منها من هذه الأمة، وأربعون من سائر الأمم)). رواه الترمذي وحسنه عن بُريدة رضي الله عنه[3].

---

(١) البخاري (١٣٦)، ومسلم (٢٤٦) و(٢٤٧).

(٢) البخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٢٢٢).

(٣) الترمذي (٢٥٤٦).

ومما أكرمها الله به أنه سيُرضي نبيها فيها:

قال تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضّحى: ٥].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم ﷺ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦]. وقول عيسى ﷺ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]. فرفع يديه وقال: ((اللهم أمتي أمتي)) وبكى، فقال الله عز وجل: ((يا جبريل، اذهب إلى محمد ـ وربك أعلم ـ فسله: ما يبكيك؟ فأتاه جبريل فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال ـ وهو أعلم ـ، فقال الله: يا جبريل، اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤُك)). رواه مسلم[١].

ومما أكرم الله به هذه الأمة أن فيها ساداتِ أهل الجنة:

قال ﷺ: ((الحسنُ والحسينُ سيدا شبابِ أهل الجنة)). رواه أحمد والترمذي وصححه، عن أبي سعيد ﷺ. [٢]

وقال لأبي بكر وعمر ﷺ: ((هذانِ سيدا كُهولِ أهل الجنة من الأولين والآخرين، إلا النبيين والمرسلين))، رواه الترمذي[٣] وحسنه.

---

(١) مسلم (٢٠٢).

(٢) مسند أحمد (٣/٣)، والترمذي (٣٧٦٨).

(٣) الترمذي (٣٦٦٤).

وعن فاطمة رضي الله عنها قالت: أَسَرّ إلي رسولُ الله ﷺ أن جبريل كان يعارضُني القرآنَ كلَّ سنة مرة، وإنه عارضني العامَ مرتين، ولا أُراه إلا حَضَرَ أجلي، وأنتِ أولُ أهل بيتي لِحاقًا بي. فبَكَيْت فقال: ((أما ترضَيْنَ أن تكوني سيدةَ نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين!))، فضحكتُ لذلك. متفق عليه[1].

(١) البخاري (٣٦٢٤)، ومسلم (٢٤٥٠).

الفصل الثالث

عبادته ﷺ

١- قال الله تعالى مخاطبًا له ﷺ: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحِجْر].

ذكر الله له ضِيقَ صدرِه من استهزائهم وتكذيبهم، فأمره بما يُذهب عنه ذلك بأن يقول: سبحان الله وبحمده، ويُكثرَ من الصلاة، فيذهبَ عنه ضِيقُ الصدر لخبر ((أرحنا بها يا بلال)). رواه أبو داود[1]. وأن يدوم على العبادة حتى يأتيَه الموت، بحيث لا تخلو لحظة من لحظات حياته من هذه العبادات، كما قال العبد الصالح: ﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريَم: ٣١].

فما أُوحي إليه ﷺ أن يجمع المال، ولا أن يكون من التجار، ولكن أوحي إليه: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحِجْر].

وقال تعالى أيضًا: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هُود: ١٢٣].

ولهذا كان النبي ﷺ أعظمَ الخَلْق اجتهادًا وقيامًا بوظائف العبادة ومحافظة عليها، حتى توفاه الله، وكذلك كان أصحابه رضي الله عنهم.

---

(١) أبو داود (٤٣٣٣).

والجمهور على أنه ﷺ لم يكن متعبِّدًا بشرع من قبله، والصحيح أنه لم يكن لنبي دعوةٌ عامة إلا لنبينا ﷺ.

والصلاة أم العبادات، يجتمع فيها من العبادات ما لم يجتمع في غيرها، من الطهارة، واستقبال القبلة، والنية، والاستفتاح بالتكبير، والقراءة والقيام، والركوع والسجود، والتسبيح في الركوع، والدعاء في السجود، إلى غير ذلك.

وقد أمر الله نبيه ﷺ بالصلاة بقوله: ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [العَنكبوت: ٤٥]. وقال تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ﴾ [طه: ١٣٢].

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ﴾ [طه: ١٣٢] إشارة إلى أن الصلاة تكليفٌ شاق، حيث إنها تأتي في أوقات ملاذّ العباد وأشغالِهم، فتطالبُهم بالخروج عن ذلك كله إلى القيام بين يدي الله، والفراغِ عما سوى الله.

ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾ [البَقَرَة: ٤٥] فجعل الصبر والصلاة مقترنَيْنِ، إشارةً إلى أنه يحتاج في الصلاة إلى الصبر: صبر على ملازمة أوقاتها، وصبر على القيام بمسنوناتها وواجباتها، وصبر يمنع القلوب عن غَفَلاتها، ولذلك قال تعالى بعد ذلك: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾ .

أو لأن الصبر والصلاة مقترنان متلازمان، فكأن أحدَهما هو عينُ الآخر، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ ﴾ [التّوبَة: ٦٢] فوحَّد الضمير لتلازم الرضاءين.

قالت عائشة رضي الله عنها: كان ﷺ يقوم من الليل حتى تفطرت قدماه، فقلت له: لم تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: ((أفلا أكون عبدًا شكورًا؟)).

قالت: فلما بَدُن وكثر لحمه صلى جالسًا، فإذا أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع. متفق عليه[1].

وصح أنه ﷺ قال: ((حبب إليّ من دنياكم النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة)). رواه النسائي[2]. يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

والعبادة بمعناها الخاص: الصلاة والصيام والزكاة والحج وقراءة القرآن، وذكر الله، والصلاة على النبي ﷺ، وبمعناها العام: العمل بكل جوانب الإسلام، ومنه الأخوة والحب في الله، وقضاءُ الحاجات والتيسيرُ على المعسرين، وقرضُ المحتاجين، وإدخالُ السرور على قلب الأخ المسلم، وإفشاء السلام، وتشميتُ العاطس، واتباعُ الجنائز، وعيادة المريض، وزيارة الإخوة في الله، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الجيران...

والعبادات القلبية أفضل العبادات؛ كالإيمان، والصبر، والرضا بالقضاء، والشكر...

---

(١) البخاري (٤٨٣٧)، ومسلم (٨٢٠).

(٢) النسائي (٣٩٣٩).

وأما زهده عليه الصلاة والسلام في الدنيا:

فقد كان في الدنيا متقللًا منها، معرضًا عن زهرتها، وقد سِيقت إليه بحذافيرها، وترادفت عليه فتوحُها، وحسبُك شاهدًا على ذلك أنه توفي عليه الصلاة والسلام ودرعُه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله. رواه الشيخان[1].

ويقول: ((اللهم اجعلْ رزقَ آل محمد قوتًا)) رواه الشيخان [2]. وروى الشيخان [3] عن عائشة ﵂: ما شبع عليه الصلاة والسلام ثلاثة أيام من خبز حتى مضى لسبيله.

وروى مسلم[4] عنها: ما ترك عليه الصلاة والسلام دينارًا ولا درهمًا، ولا شاةً ولا بعيرًا.

وقالت: ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد، إلا شطر شعير في رف لي. رواه الشيخان[5].

وروى الترمذي[6] بسند حسن عنها قالت: قال رسول الله: ((عَرَض علي ربي ليَجعل لي بطحاءَ مكة ذهبًا، فقلت: لا يا رب، ولكن أشبع يومًا وأجوع يومًا، فإذا جُعْتُ تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت شكرتك وحَمِدْتك)).

---

(١) البخاري (٢٩١٦)، ومسلم (١٦٠٣).
(٢) البخاري (٦٢٦٠)، ومسلم (١٠٥٥).
(٣) البخاري (٥٣٧٤)، ومسلم (٢٩٧٠).
(٤) مسلم (١٦٣٥).
(٥) البخاري (٣٠٩٧)، ومسلم (٢٩٧٣).
(٦) الترمذي (٣٩٨٠).

وروى الشيخان[1] عن عائشة ﵂ قالت: إنا كنا -آلَ محمد- لنمكث شهرًا ما نستوقد بنارٍ، إن هو إلا التمر والماء.

وروى البخاري[2] عن أنس ﵁: ما أكل عليه الصلاة والسلام على خِوانٍ (المائدة المرتفعة) ولا في سُكُرُّجَة (الإناء الصغير يؤكل فيها الأدم) ولا خُبِزَ له مُرَقَّقٌ، ولا رأى شاةً سَمِيطًا قط (المشوي بجلده).

وسئلت حفصة ﵂: ما كان فراش رسول الله ﷺ في بيتك؟ فقالت: مِسْحًا نَثْنيه ثِنْيتين، فينام عليه... فثنيناه ليلة بأربع، فلما أصبح قال: ((ما فرشتم لي الليلة؟)) فذكرنا له ذلك، فقال: ((ردوه لحالته الأولى؛ فإنه منعتني وطأته الليلة صلاتي)) رواه الترمذي في الشمائل[3].

(١) البخاري (٦٤٥٨)، ومسلم (٢٩٧٢).

(٢) البخاري (٥٣٨٦) و (٥٤٢١).

(٣) الترمذي في الشمائل (٣٢١).

الفصل الرابع
حقوقه ﷺ على أمته

١. وجوب محبته واتباعِ سنته، والاهتداءِ بهَدْيه وطريقته.

٢. الصلاة عليه والتسليم.

٣. محبة أصحابه وقرابته وأهلِ بيته وذريته.

محبته ﷺ واتباع سنته

فأهلها ذهبوا بشرف الدنيا والآخرة؛ إذ لهم من معية محبوبهم أوفرُ نصيب، وقد قدر الله يوم قدر مقادير الخلق قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، أن المرء مع من أحب.

وروى البخاري[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((لا يؤمن أحدكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من والده وولده)).

وفي الصحيحين[2] عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)).

رواية لمسلم: ((حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين)).

وذكرُ الناس بعد الوالد والولد من عطف العام على الخاص.

قال الخَطّابي: والمراد بالمحبة هنا حب الاختيار، لا حب الطبع.

وفي كلام القاضي عياض أن ذلك شرط في صحة الإيمان؛ لأنه حمل المحبة على معنى التعظيم والإجلال.

وقال غيره: لا يكمل إيمان أحدكم...

---

(١) البخاري (١٤).

(٢) البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

وإلى ذلك يومئ قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الحديث الذي رواه البخاري [1] أنه قال للنبي ﷺ: لأنت يا رسول الله أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي. فقال النبي ﷺ: ((لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك)). فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي. فقال له النبي ﷺ: ((الآن يا عمر)).

فهذه المحبة ليست باعتقادِ الأعظمية فقط، فإنها كانت حاصلةً لعمر رضي الله عنه قبل ذلك قطعًا.

قال بعض الزهاد: تقدير الكلام: لا تَصْدُقُ في حبي حتى تُؤْثر رضاي على هواكَ، وإن كان فيه الهلاكُ.

وأما وقوف عمر رضي الله عنه في أول أمره، واستثناؤه نفسَه، فلأن حبَّ الإنسانِ نفسَه طبع، وحبَّ غيرِه اختيارٌ بتوسط الأسباب، وإنما أراد منه ﷺ حبَّ الاختيار، إذ لا سبيل إلى قلب الطباع وتغييرها عما جُبلت عليه.

وعليه فجواب عمر رضي الله عنه كان أولًا بحسب الطبع، ثم تأمل فعرف بالاستدلال أن النبي ﷺ أحبُّ إليه من نفسه؛ لكونه السبب في نجاتها من المهلكات في الدنيا والآخرة، فأخبره بما اقتضاه الاختيار، فلذلك حصل الجواب بقوله ﷺ: ((الآن يا عمر))، أي: الآن عرفت يا عمر، فنطقتَ بما يجب. اهـ المواهب اللدنية.

---

(١) البخاري (٦٦٣٢).

وإذا كان هذا شأنَ نبينا محمدٍ ﷺ عبدِ الله ورسولِه في محبتنا له، ووجوبِ تقديمها على أنفسنا وأولادنا ووالِدِينا والناس أجمعين، فما الظن بمحبة الله تعالى، ووجوبِ تقديمها على محبة ما سواه.

فقد أخرج الترمذي والحاكمِ[1] وصححاه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ((أَحِبُّوا الله لما يَغْذُوكم به من نِعَمِه، وأحبوني بحب الله، وأحبوا أهل بيتي بحبي)).

ومحبة الله تعالى تختص عن محبة غيره في قدرها وصفتها، وفي إفراده سبحانه وتعالى بها، فإن الواجب له من ذلك أن يكون أحبَّ إلى العبد من ولده ووالده، بل ومن سمعه وبصره ونفسه التي بين جنبيه، فيكون إلهُه الحقُّ ومعبودُه أحبَّ إليه من ذلك كله، ولا انفكاكَ لأحد عن الاحتياج إليه، وليس شيء يُحَبُّ لذاته من كل وجه إلا الله وحده، ولا تصلح الألوهية إلا له، والتأله هو المحبة والطاعة والخضوع.

ومن علامات الحب المذكور لرسول الله ﷺ أن يَعْرِضَ الإنسانُ على نفسه أنْ لو خُيّر بين فَقْدِ غرض من أغراضه، أو فَقْدِ رؤية النبي ﷺ أنْ لو كانت ممكنةً، فإن كان فقدُها أنْ لو كانت ممكنةً أشدَّ عليه من فَقْدِ غرضٍ من أغراضه فقد اتصف بالأحبية المذكورة لرسول الله ﷺ، ومن لا فلا، وهذا ذكره الحافظ ابن حجر، وزاد: وليس ذلك محصورًا في الوجود والفقد، بل يأتي مثله في نصرة

(١) الترمذي (٣٧٨٩) والحاكم (٣/١٦٢).

سنته، والذب عن شريعته، وقمع مخالفيها، ويدخل فيه باب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

قال القرطبي: كل من آمن بالنبي ﷺ إيمانًا صحيحًا لا يخلو عن وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة، غير أنهم متفاوتون، فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الأوفى، ومنهم من أخذ بالحظ الأدنى، كمن كان مستغرقًا في الشهوات، محجوبًا بالفضلات، في أكثر الأوقات، لكن الكثير منهم إذا ذكر النبي ﷺ اشتاق إلى رؤيته، بحيث يُؤْثرها على أهله وماله وولده، ويبذل نفسه في الأمور الخطيرة، ويجد رجحان ذلك من نفسه وجدانًا لا تردد فيه. اهـ.

فكل مسلم في قلبه محبة الله ورسوله لا يدخل الإسلام إلا بها، ولكن الناس متفاوتون في محبته ﷺ بحسب استحضارِ ما وَصَل إليهم من جهته من وجوه النفع الشامل لخير الدارين، والغفلة عن ذلك، ولا شك أن حظ الصحابة رضي الله عنهم في هذا المعنى أتمُّ، لأن هذا ثمرة المعرفة، وهم بها أعلم.

وقد روى ابن إسحاق بسنده عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: مر رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار، وقد قُتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أُحُد مع رسول الله ﷺ، فقالت: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيرًا، هو بحمد الله كما تُحبين. قالت: أَرُونِيهِ حتى أنظر إليه. فلما رأته قالت: كلُّ مصيبة بعدك جَلَل. تعني صغيرة.

وروى الطبراني في الأوسط[1] عن أنس ﷺ قال: لما قيل يوم أحد: قُتل محمد ﷺ، وكثرت الصوارخُ بالمدينة، خرجتْ امرأة من الأنصار، فاستُقْبلت بأخيها وأبيها وزوجها قتلى، لا تدري بأيهم استُقْبلت، وكلما مرت بواحد منهم صريعًا قالت: من هذا؟ قالوا: أخوك وأبوك وزوجك وابنك. قالت: ما فعل النبي ﷺ؟ فيقولون: أمامَك، حتى ذهبتْ إلى رسول الله ﷺ فأخذت بناحية ثوبه، ثم جعلت تقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لا أبالي -إذْ سَلِمْتَ- مَنْ عَطِبَ.

وروى مسلم [2] عن عمرو بن العاص ﷺ قال: ما كان أحدٌ أحبَّ إلي من رسول الله ﷺ، ولا أجلَّ في عينِي منه، وما كنت أُطيق أن أملأ عينَيّ منه، إجلالًا له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت، لأني لم أكن أملأ عينَيّ منه.

وروى البيهقي في دلائل النبوة[3] عن عروة ﷺ قال: لما أخرج أهل مكة زيدَ بنَ الدَّثِنَّة من الحَرَم ليقتلوه، قال أبو سفيان بن حرب -وهو يومئذ مشرك-: أَنْشدُك الله يا زيد، أتحب أن محمدًا الآن مكانَك تُضْرَب عنقُه وأنك في أهلك؟ فقال زيد: والله ما أحب أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تُصيبه شوكةٌ وإني جالس في أهلي. فقال أبو سفيان: ما رأيت أحدًا من الناس يحب أحدًا كحب أصحابِ محمدٍ محمدًا.

---

(١) المعجم الأوسط (٢٨٠/٧) و(٧٤٩٩). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٥/٦): رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه محمد بن شعيب ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

(٢) مسلم (١٢١).

(٣) دلائل النبوة (١٢٢٥) والطبراني الكبير (٢٥٩/٥).

وأخرج سعيد بن منصور وابن المنذر في تفسيره عن التابعي عامر الشعبي قال: إن رجلًا من الأنصار أتى إلى النبي ﷺ فقال له: يا رسول الله، والله لأنت أحب إلي من نفسي ومالي وولدي وأهلي، ولولا أني آتيك فأراك لرأيتُ أن أموتَ أو قال: أنْ سوف أموت. وبكى الأنصاري، فقال له رسول الله ﷺ: ((ما أبكاك؟)) قال: بكيت أنْ ذكرتُ أنك تموت ونموت، وتُرفع مع النبيين، ونكون نحن إن دخلنا الجنة دونَك. فلم يخبره النبي ﷺ بشيء فأنزل الله على رسوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠﴾ [النساء] فقال له النبي ﷺ: ((أبشر)).

فمحبة الرسول ﷺ، بل تقديمه في الحب على الأنفس والآباء والأبناء، لا يتم الإيمانُ إلا بها.

وعلامة حبِّ الله حبُّ حبيبه، وكذلك كل حب في الله ولله، كما في الصحيحين[1] عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((ثلاث مَن كُنّ فيه وجد حلاوةَ الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يَكره أن يعود في الكفر كما يَكره أن يُقذف في النار)).

(١) البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

وعلق ذوق الإيمان بالرضا بالله ربًا بقوله ﷺ: ((ذاق طعمَ الإيمان مَن رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا)). رواه مسلم[1].

وعلق وجدانَ حلاوته بما هو موقوف عليه، ولا يتم إلا به، وهو كون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما...

فمن رضي بالله ربًا رضيه الله له عبدًا.

ومعنى حلاوة الإيمان: استلذاذُ الطاعات، وتحمل المشقات في الدين، ويُؤْثر ذلك على أعراض الدنيا.

قال النووي: محبة العبد لله تحصُل بفعل طاعته وتركِ مخالفته، وكذلك الرسول ﷺ.

وقال غيره: معناه أنّ من استكمَلَ الإيمانَ عَلِم أن حقَّ الله ورسولِه آكدُ عليه من حق والده وولده والناس أجمعين؛ لأن الهدى من الضلالة، والخلاصَ من النار، إنما كان بالله على لسان رسوله.

وقال ابن أبي جَمْرةَ: واختُلف في الحلاوة المذكورة، هل هي محسوسة أو معنوية؟

فحملها قوم على المعنى، بأنّ من وُجِدَتْ فيه جَزَم بالإيمان، وانقاد إلى أحكامه.

وحملها قوم على المحسوس، وأبقَوُا اللفظ على ظاهره من غير أن يتأولوه.

---

(١) مسلم (٣٤).

ورجح ابن أبي جمرة الثاني، قال: ويَشهد لذلك أحوالُ الصحابة والسلف الصالح.

فبلالٌ حين صُنع ما صُنع به في الرمضاء إكراهًا على الكفر، وهو يقول: أَحَدٌ أَحَد[1]، فمزج حرارةَ العذاب بحلاوة الإيمان.

وكذلك عند موته، أهله يقولون: واحُزْناهْ، وهو يقول: واطَرَباهْ، غدًا ألقى الأحبةَ محمدًا وحزبَه [2]، فمزج حرارة الموت بحلاوة اللقاء، وهي حلاوة الإيمان.

وقال البخاري في صحيحه: ويُذْكَرُ عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان في غزوة ذات الرِّقاع، فرُمي رجل بسهم، فنَزَفَه الدم، فركع وسجد ومضى في صلاته [3].

وقد وصله ابن إسحاق في المغازي مطولًا عن جابر رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوةِ ذات الرِّقاع، فأَصَبْنا امرأةَ رجلٍ من المشركين، فلما قفل ﷺ أتى زوجُها وكان غائبًا، فحلف لا ينتهي حتى يُصيبَ في أصحاب محمد دمًا، فخرج يتبع أثره ﷺ.

فنزل رسول الله ﷺ منزلًا فقال: ((مَنْ رجلٌ يَكْلَؤُنا ليلتَنا؟)) فانتَدَبَ رجل من المهاجرين، ورجل من الأنصار، فقالا: نحن يا رسول الله. قال: ((فكونا في فم الشِّعْب)). وكان ﷺ وأصحابه قد نزلوا إلى شعب من الوادي.

---

(١) أحمد في المسند (١/٤٠٤٩ وابن ماجه (١٥٠). وابن حبان (٧٠٨٣). والحاكم (٣/٣٢٠).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المحتَضَرِين.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب مَنْ لم يَرَ الوضوء إلا من المخرَجَينِ.

فقال الأنصاري للمهاجري: أي الليل تحب أن أكفيَك؟ قال: اكفني أولَه. فنام المهاجري وقام الأنصاري يصلي.

وأتى الرجلُ، فلما رأى شخصَ الرجل عَرَفَ أنه ربيئة القوم[1]، فرمى بسهم فوضعه فيه، فنزعه ووضعه، وثبت قائمًا، ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه، فنزعه ووضعه، وثبت قائمًا، ثم عاد له بالثالث، فوضعه فيه، فنزعه ووضعه، ثم ركع وسجد، ثم أهَّبَ صاحبه، فقال: اجلس فقد أُثْبِتُّ. فوثب، فلما رآهما الرجلُ عرف أنهما قد نَذِرَا به فهرب.

ولما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء قال: سبحان الله! ألا أَهْبَبْتَنِي أولَ ما رماك! قال: كنت في سورة أقرؤها، فلم أحب أن أقطعها حتى أُنْفِذَها، فلما تابع عليَّ الرميَ ركعت فآذنتك، وأيم الله! لولا أن أُضيّعَ ثغرًا أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعَها، أو أُنْفِذَها[2].

قال في فتح الباري: وسَمَّى البيهقيُّ الأنصاريَّ: عبّاد بن بشر رضي الله عنه، والمهاجريَّ: عمار بن ياسر رضي الله عنه، والسورةَ: الكهف.

قال في فتح الباري:

واعلم أن محبة الله تعالى على قسمين: فرض، ونفل.

---

(١) أي رقيبهم.

(٢) مسند أحمد (٣/٣٤٣). وأبو داود (١٧٠). وابن خزيمة (٣٦). وابن حبان (١٠٩٦). والحاكم (١/٢٥٨). كلهم من طريق ابن إسحاق.

فالفرض: المحبة التي تبعث على امتثال الأوامر، والانتهاء عن المعاصي، والرضا بما يقدره.

فمن وقع في معصية، من فعل محرم، أو تركِ واجب، فلتقصيره في محبة الله؛ حيث قدم هوى النفس. والتقصير يكون مع الاسترسال في المباحات، والاستكثار منها، فيحدثُ الغفلة المقتضيةَ للتوسع في الرجاء، فيُقْدم على المعصية، ويرجو المغفرة، أو تستمر الغفلة، فيقع، وهذا الثاني يُسرع إلى الإقلاع مع الندم.

والندب: أن يواظب على النوافل، ويجتنبَ الوقوع في الشبهات، والمتصفُ بذلك عمومَ الأوقات والأحوال نادر.

وكذا محبة الرسول ﷺ على نوعين كما تقدم، ويزاد:

أن لا يتلقى شيئًا من المأمورات والمنهيات إلا من مِشكاته، ولا يسلُكَ إلا طريقته، ويرضى بما شرعه، حتى لا يجد في نفسه حرجًا مما قضى، ويتخلقَ بأخلاقه في الجود والإيثار والحلم والتواضع وغيرها، فمن جاهد نفسه في ذلك وجد حلاوة الإيمان، وتتفاوتُ مراتب المؤمنين بحسب ذلك. اهـ.

وفي البخاري [1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إن الله عز وجل قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحبَّ إلي مما افترضتُ عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببتُه كنت سمعَه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يُبصر به، ويدَه التي

(١) البخاري (٦٥٠٢).

يَبْطِش بها، ورِجْلَه التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددتُ عن شيء أنا فاعلُه تَرَدُّدي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مَساءَتَه)).

والمراد بالنوافل مع الفرائض، بدليل ما رواه الطبراني والبيهقي في الزهد مرفوعًا: ((ابنَ آدم، إنك لن تدرك ما عندي إلا بأداء ما افترضتُه عليك))[1].

فإن قيل: كيف يكون الباري جل وعلا سَمْعَ العبد وبصرَه...؟ وأجيب بأجوبة، منها:

١- أنه ورد على سبيل التمثيل، والمعنى: كنت كسمعه وبصرِه، في إيثاره أمري، فهو يحب طاعتي، ويؤثر خدمتي، كما يحب هذه الجوارح، فهو من التشبيه البليغ.

٢- أن المعنى أن كُلّيته مشغولةٌ بي، فلا يُصغي إلا إلى ما يُرضيني، ولا يرى ببصره إلا ما أمرته به...

٣- أنه على حذف مضاف، أي حافظٌ سمعَه الذي يسمع به، فلا يسمع إلا ما يَحل سماعُه، وحافظٌ بصرَه كذلك...

٤- أن المعنى: كنت له في النَّصر كسمعه وبصرِه، ويدِه ورجله، في المعاونة على عدوه... اهـ.

---

(١) الطبراني الكبير (٢٠٦/٨) و(٢٢١) والزهد الكبير للبيهقي (٧١٠). قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٤٨/٢: وفيه علي بن يزيد، وهو ضعيف.

قال العلامة ابن القيم في الجواب الكافي: تضمن هذا الحديث الشريف الإلهي الذي حرامٌ على غليظ الطبع كثيفِ القلب فهمُ معناه، والمراد به حَصْرُ أسباب محبته في أمرين: أداء الفرائض، والتقرب إليه بالنوافل، وأن المحب لا يزال يكثر في النوافل حتى يصير محبوبًا لله، فإذا صار محبوبًا لله أوجبت محبةُ الله له محبةً أخرى منه لله فوق المحبة الأولى، فشَغَلت هذه المحبةُ قلبَه عن الفكر والاهتمام بغير محبوبه، ومَلَكت عليه روحَه، ولم يبق فيه سَعةٌ لغير محبوبه البتةَ، فصار ذكرُ محبوبه وحُبُّه مَثَلَه الأعلى، مالكًا لزمام قلبه، مستوليًا على روحه استيلاء المحبوب على مُحِبه الصادق في محبته، التي قد اجتمعت قُوَى محبته كلها له.

ولا ريب أن هذا المحب إن سمع سمع بمحبوبه، وإن أبصر أبصر بمحبوبه، وإن مشى مشى به، فهو في قلبه ونفسِه، وأنيسُه وصاحبُه، والباء ههنا باء المصاحَبة، وهي مصاحَبة لا نظير لها، ولا تُدرَك بمجرد الإخبار عنها والعلم بها، فالمسألة حالية، لا علمية محضة.

ولما حصلت هذه الموافقة مع العبد لربه تعالى في مَحَابِّه حصلت موافقة الرب لعبده في حوائجه ومطالبه، فقال: "ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه". أي: كما وافقني في مرادي بامتثال أوامري، والتقرب إلي بمَحَابِّي، فأنا أوافقه في رغبته ورهبته فيما يسألني أن أفعل به، وفيما يستعيذني أن ينالَه مكروه.

وحقق هذه الموافقةَ من الجانبين، حتى اقتضى تَرَدُّدَ الرب سبحانه وتعالى في إماتة عبده، لأنه يكره الموت، والرب تعالى يكره ما يكره عبدُه، ويكره مَساءتَه،

فمن هذه الجهة يقتضي أنْ لا يُميتَه، ولكن مصلحته في إماتته، فتفضل بفعل المصلحة، فإنه ما أماته إلا لِيُحْيِيَه، وما أمرضه إلا لِيُصِحَّه، وما أفقره إلا لِيُغْنِيَه، وما منعه إلا ليعطيه، ولم يخرجه من الجنة في صلب أبيه آدم إلا ليعيدَه إليها على أحسن أحواله، فهذا هو الحبيب على الحقيقة لا سواه. اهـ كلام ابن القيم.

وبالجملة فلا حياة للقلب إلا بمحبة الله ومحبة رسوله ﷺ، ولا عيشَ إلا عيشُ المحبين، الذين قرت عيونهم بحبيبهم، وسَكَنت نفوسهم إليه، واطمأنت قلوبهم به، واستأنسوا بقربه، وتنعموا بمحبته، ففي القلب طاقة لا يسدها إلا محبة الله ورسوله، ومن لم يظفر بذلك فحياته كلها هموم وغموم، وآلام وحسرات.

ولابن القيم كلام في طريق الوصول لهذه المنزلة في كتابه مدارج السالكين، فليرجع إليه. وقد قال في نهايته: فإذا صَدَق في ذلك رُزِقَ محبةَ الرسول ﷺ، واستولت روحانيتُه على قلبه، فجعله إمامَه وأستاذه ومعلمه وشيخه وقدوته، كما جعله الله نبيه ورسولَه وهاديَه، فيطالع سيرتَه ومبادئَ أمورِه، وكيفيةَ نزول الوحي عليه، ويعرفُ صفاتِه وأخلاقَه وآدابَه، وحركاتِه وسكونَه، ويقظَته ومنامَه، وعبادتَه، ومعاشرتَه لأهله وأصحابه، إلى غير ذلك مما منحه الله به...

ولمحبة الرسول عليه الصلاة والسلام علامات: أعظمها الاقتداء به، واستعمالُ سنته، وسلوكُ طريقته، والاهتداءُ بهديه وسيرته، والوقوفُ عند ما حد لنا من أحكام شريعته، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: ٣١] فجعل متابعة الرسول ﷺ آيةَ محبة العبد لربه، وجعل جزاء العبد على حسن متابعة الرسول ﷺ محبةَ الله تعالى إياه.

فمحبة الله لا تحصل إلا باتباعه ﷺ.

وروى الترمذي[1] وحسنه عن أنس رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: ((يا بني، إن قَدَرْتَ أن تُصبح وتمسي ليس في قلبك غِشٌّ لأحد فافعل. يا بني، وذلك من سنتي، ومن أحيا سنتي فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة)).

ومن علامة محبته ﷺ:

أن يرضى مُدّعِيها بما شرعه الله، أي ما جاء به رسوله وبلغه، حتى لا يجد في نفسه حَرَجًا مما قضى. قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النِّساء: ٦٥] فسَلَبَ اسمَ الإيمان عمن لا يُحكِّمُ الله ورسوله ﷺ على نفسه قولًا وعملًا، وأخذًا وتركًا، حبًا وبغضًا، ولا يُكتفَى بتحكيم الظاهر، بل اشترط فقدان الحرج، وهو الضيق، من نفوسهم في أحكامه ﷺ بما يوافق أهواءهم أو يخالفها.

وقال سهلُ بنُ عبد الله التُّسْتَرِيّ: من لم ير وِلَاية الرسول ﷺ في جميع أحواله، ويَرَ نفسَه في مِلكه، لم يذق حلاوة سنته.

ومن علامات محبته: نصرُ دينه بالقول والفعل، والذَّبُّ عن شريعته، والتخلقُ بأخلاقه في الجود والإيثار والحلم والصبر والتواضع.

---

(١) الترمذي (٢٦٧٨).

ومن علامات محبته: التَّسَلِّي عن المصائب، فإن المحب يجد في لذة مُحِبِّه ما يُنسيه المصائب.

ومن علامات محبته: كثرةُ ذكرِه، فمن أحب شيئًا أكثر من ذكره، والصلاةُ عليه كلما ذُكر، وتعظيمُه عند ذكرِه.

ومن علامات محبته: حبُّ القرآن الذي أتى به، وهدى به، واهتدى به، وتخلق به.

روى أحمد في فضائل الصحابة عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: لو طَهَرَتْ قلوبُنا لما شبعت من كلام الله.

وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه وهو غاية مطلوبه.

ومن علامات محبته: محبةُ سنته، وقراءةُ حديثه.

فمن اتصف بهذه العلامات، فهو كامل المحبة لله ولرسوله، ومن خالف بعضها فهو ناقص المحبة، ولا يخرج عن اسمها، بدليل قوله عليه الصلاة والسلام للذي حده في الخمر – لما لعنه بعضهم قال: ما أكثر ما يؤتى به (أي سكرانَ)، قال ﷺ: ((لا تعلنوه، فوالله ما علمتُ: إنه يحب الله ورسوله)). رواه البخاري[1].

(١) البخاري (٦٧٨٠).

الصلاة عليه والتسليم:

فرضية وسنية وفضيلة، وصفة ومحلًا

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

أ. قال أبو العالية: معنى صلاة الله على نبيه ثناؤه عليه، وتعظيمُه عند الملائكة، ومعنى صلاة الملائكة وغيرهم الدعاءُ له بذلك، كأنْ يقال: نسألك أن تُثنيَ عليه وتُعظّمَه بما يَليق به، والمرادُ طلب الزيادة، لا طلبُ أصل الصلاة، قال في فتح الباري: وهذا أولى الأقوال.

وقال بعضهم: معنى صلاة الملائكة: الدعاء بالبركة، فهم يدعون بزيادة بركةٍ لائقة بمقامه وشريفِ قدره، وظهور شريعته، والانقياد إليها، والعمل بها ظاهرًا وباطنًا، وذلك يعود ثوابه مضاعفًا له ﷺ.

وقال بعضهم: الصلاة من الله: الرحمة والمغفرة، ومن الملائكة الاستغفار، ومعنى السلام: السلامة لك ومعك.

وقال القاضي عياض: الصلاة على النبي ﷺ من الله تشريفٌ وزيادة تكرمة، وعلى مَنْ دون النبي ﷺ رحمة.

والإجماع منعقد على أن في هذه الآية من تعظيم النبي ﷺ والتنويه به ما ليس في غيرها.

وقال الحَلِيمي في شُعب الإيمان: الصلاة على النبي ﷺ تعظيمه، فمعنى قولنا: اللهم صل على محمد، عَظِّمْ محمدًا تعظيمًا لائقًا به، والمراد تعظيمُه في الدنيا، بإعلاء ذكره، وإظهار دِينه، وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بإجزال مَثُوبته، وتشفيعِه في أمته، وإبداءِ فضيلته بالمَقام المحمود. اهـ.

ب. وقع الأمر بالصلاة على النبي ﷺ في ليلة الإسراء، أو في السنة الثانية من الهجرة. قولان في وقت نزول الآية، والله أعلم.

ج. المقصود بالصلاة عليه ﷺ التقربُ إلى الله بامتثال أمره، وقضاءُ بعض حقه علينا، قاله الحَلِيمي، وتبعه العِزُّ بن عبد السلام، فقال: ليست صلاتنا على النبي ﷺ شفاعةً له، فإن مثلَنا لا يشفع لمثله، ولكن الله أمرنا بمكافأةِ مَنْ أحسن إلينا، ولم يُحسن إلينا أحدٌ مثلَ إحسانه، فإن عَجَزنا عنه كافأناه الدعاء، فأرشدنا الله —لمّا عَلِم بعجزنا عن مكافأة نبينا— إلى الصلاة عليه.

د. فائدة الصلاة على النبي ﷺ ترجع إلى الذي يصلي عليه، لدلالة ذلك على نصوح العقيدة، وخلوص النية، وإظهار المحبة، والمداومة على الطاعة المأمور بها في القرآن، والاحترام للنبي ﷺ.

هـ. حكم الصلاة على النبي ﷺ:

اختُلف فيه على أقوال:

١- تجب في الجملة من غير حصر، وأقل ما يقع الإجزاء به مرة، وما عدا ذلك مندوب مرغب فيه من سنن الإسلام.

٢- يجب الإكثار منها من غير تقييد بعدد.

والقائل بالأول القاضي عياض، والقائل بالثاني ابن بُكير، وكل منهما يقول بوجوب السلام، وهما مالكيان.

٣- تجب كلما ذُكر، قاله الطحاوي وجماعة من الحنفية، والحَلِيمي وجماعة من الشافعية.

وقال ابن العربي من المالكية: إنه الأحوط، لحديث: ((رَغِمَ أنفُ رجلٍ ذُكرتُ عنده فلم يُصَلِّ علي)). رواه الترمذي وقال: حسن غريب[1]. ولحديث: ((بَعُدَ مَنْ ذُكِرْتَ عنده ولم يُصَلِّ عليك)) من قول جبريل: قل آمين. فقلت: آمين. رواه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم[2].

٤- تجب في كل مجلس مرة، ولو تكرر ذكره مرارًا في المجلس. حكاه الزمخشري.

٥- تجب في كل دعاء.

٦- إنها من المستحبات، وهو قول الطبري.

٧- تجب في العمر مرة، في الصلاة وغيرها، ككلمة التوحيد، قاله أبو بكر الرازي.

٨- تجب في الصلاة، من غير تعيينِ المحل. نُقل عن محمد الباقر.

---

(١) الترمذي (٣٥٤٥).

(٢) ابن خزيمة (١٩٢/٣) وابن حبان (٤٠٩) والحاكم (١٧٠/٤).

٩- تجب في التشهد، وهو قول الشَّعْبي، وإسحاقَ بنِ راهَوَيْهِ.

١٠- تجب في القعود الأخير بين قول التشهد وبين سلام التحلل، قاله الشافعي ومن تبعه، واستدل بما رواه مسلم وأصحاب السنن، وابن خزيمة وابن حبان والحاكم[١] عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه، أنهم قالوا: يا رسول الله، أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف نصلي عليك إذا نحن صلينا عليك في صلاتنا؟ فقال: ((قولوا: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد...)) الحديث.

وقال الشافعي في الأم: فرض الله الصلاةَ على رسوله ﷺ بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] فلم يكن فرضُ الصلاة عليه في موضعٍ أولى منه في الصلاة، ووجدنا الدلالة عن النبي ﷺ بذلك. اهـ.

روى فَضالةُ بن عبيد أن النبي ﷺ سمع رجلًا يدعو في صلاته لم يحمد الله، ولم يُمَجِّدْه، ولم يصل على النبي ﷺ، فقال: ((عَجِل هذا)). ثم دعاه فقال: ((إذا صلى أحدكم فليبدأ بالحمد لله، والثناء عليه)) وفي رواية: ((بتمجيد الله،

(١) مسلم (٤٠٥)، وصححه الترمذي (٣٢٢٠) وابن حبان (١٩٥٨) والحاكم (١/٤٠١).

ثم ليُصَلِّ على النبي، ثم لْيَدْعُ بما شاء)). أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي، وابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم [١].

و. وأما صفة الصلاة على النبي ﷺ، فقد روى ابن أبي حاتم:

لما نزلت آية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] قال كعب بن عجرة رضي الله عنه: قلنا يا رسول الله، قد علمنا السلام عليك، فكيف الصلاة عليك؟ قال: ((قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد)). ورواه البخاري[٢] دون ذكر الآية.

وفي رواية للبخاري ومسلم[٣]: ((قولوا: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد)).[٤]

---

(١) أبو داود (١٢٦٦) والنسائي (١٢٨٤)، والترمذي (٣٤٧٧)، وصححه، وابن خزيمة (١/٣٥١)، وابن حبان (١٩٦٠)، والحاكم (١/٣٥٤).

(٢) البخاري (٣٣٧٠).

(٣) البخاري (٤٧٩٧)، ومسلم (٤٠٦).

(٤) يستحب الشافعية جمعا بين الروايات التي يحتج بها مع الاتيان بلفظ السيادة الكيفية التالية:
اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك النّبي الأمي، وعلى آل سيدنا محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على سيدنا إبراهيم، وعلى آل سيدنا إبراهيم، في العالمين، إنك حميد مجيد، وبارك على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، في العالمين، إنك حميد مجيد.

واختلف في المراد بآل محمد على أقوال:

١- المراد بهم مَنْ حَرُمَتْ عليهم الصدقةُ كما نص عليه الشافعي، واختاره الجمهور، وهو الراجح، ويؤيده قول النبي ﷺ للحسن بن علي رضي الله عنهما ((إنا -آلَ محمد- لا تحل لنا الصدقة)). متفق عليه[١].

٢- المراد بهم أزواجه وذريته، كما صرح به في حديث أبي حميد عن البخاري[٢] ((قولوا: اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم...)).

٣- المراد بهم جميع الأمة أمةِ الإجابة، حكاه أبو الطيب الطَّبري عن بعض الشافعية، وهو منقول عن الإمام مالك، ورجحه النووي في شرح مسلم، فقال: إنه المختار، ومال إليه ابن العربي.

وقيده القاضي حسين بالأتقياء منهم، وعليه يُحمل كلامُ من أطلق، ويشهد لذلك ما في الصحيحين[٣] عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: ((إنّ آلَ أبي فلان ليسوا لي بأولياء، إنما وليي الله وصالحُ المؤمنين)).

واستدل العلماء بتعليمه ﷺ لأصحابه هذه الكيفية بعد سؤالهم عنها بأنها أفضلُ كيفيات الصلاة عليه.

---

(١) البخاري (١٤٩١)، ومسلم (١٠٦٩).

(٢) البخاري (٣٣٦٩).

(٣) البخاري (٥٩٩٠)، ومسلم (٥١٢).

ز. المواطن التي تشرع فيها الصلاة عليه ﷺ:

١- التشهد الأخير، وهي واجبة عَقِبَه.

٢- التشهد الأول، وهي سنة.

٣- الصلاة على الآل سنة في التشهد الأخير عقب الصلاة.

٤- خطبتا الجمعة والعيدين والكسوف وغيرها، فلا تصح خطبتا الجمعة إلا بها، وهذا مذهب الشافعي وأحمد، ومذهبُ الجمهور الاستحباب.

٥- عَقِبَ إجابة المؤذن؛ لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلَ ما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي واحدةً صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون هو، فمن سأل الله لي الوسيلةَ حلت عليه الشفاعة)) أي وجبت له الشفاعة. أخرجه مسلم وغيره[1].

وعند أحمد والبخاري والأربعة[2] عن جابر رضي الله عنه مرفوعًا: ((من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آتِ محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدتَه، حلت له شفاعتي يوم القيامة)).

---

(١) مسلم (٣٨٤). أبو داود (٤٣٩). الترمذي (٣٦١٤). النسائي (٦٧٨). مسند أحمد ١٦٨/٢.

(٢) أحمد (٣٥٤/٣) والبخاري (٦١٤) وأبو داود (٥٢٩) والترمذي (٢١١) والنسائي (٦٨٠) وابن ماجه (٧٢٢).

٦- أولَ الدعاء ووسطَه وآخرَه؛ فعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((لا تجعلوني كَقَدَح الراكب، فإن الراكب يملأ قدحه، ثم يضعه ويرفع متاعه، فإن احتاج إلى شراب شربه، أو الوضوء توضأ وإلا أَهَرَاقَه، ولكن اجعلوني في أولِ الدعاء وأوسطِه وآخرِه)). رواه عبد بن حُميد والبزار وعبد الرزاق والطبراني [١].

٧- عقب القنوت.

٨- عند دخول المسجد والخروج منه، كما رواه أحمد والترمذي وابن ماجه[٢] عن فاطمة الزهراء رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم، ثم قال: ((اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبوابَ رحمتك)). وإذا خرج صلى على محمد وسلم، ثم قال: ((اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبوابَ فضلك)). وفي رواية لأحمد: كان إذا دخل المسجد قال: ((بسم الله، والسلام على رسول الله)).

٩- بعد التكبيرة الثانية في صلاة الجنازة.

١٠- عند الاجتماع والتفرق، لما روى الترمذي وصححه[٣] أن رسول الله ﷺ قال: ((ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله فيه، ولم يصلوا على نبيهم، إلا كان عليهم تِرَةً[٤]، فإن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم)).

---

(١) مسند عبد بن حميد (١١٣٢) ومصنف عبد الرزاق (٢/٢١٥) و(٣١١٧). قال في مجمع الزوائد ١٠/١٥٥: وفيه موسى بن عبيدة، وهو ضعيف.

(٢) أحمد (٦/٢٨٢) والترمذي (٣١٤) وابن ماجه (٧٧١).

(٣) الترمذي (٣٣٨٠).

(٤) تِرَة: أي حسرة وندامة.

١١- وورد الأمر بالإكثار منها يومَ الجمعة وليلتَها، فعن أوسِ بنِ أوسٍ الثقفي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مِن أفضلِ أيامكم يوم الجمعة، فيه خُلق آدمُ، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضةٌ علي)) قالوا: يا رسول الله، وكيف تُعرض صلاتُنا عليك وقد أَرَمْتَ؟ يعني وقد بَلِيتَ، قال: ((إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء)).

رواه أحمد وأبو داود والنسائي[١]، وقد صحح هذا الحديث ابن خزيمة، وابن حبان، والدارقطني، والحاكم[٢]، وقال: على شرط البخاري.

قال الحافظ ابن كثير: وقد روى البيهقي من حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ أمر بالإكثار من الصلاة عليه ليلة الجمعة، ويوم الجمعة. ولكن في إسناده ضعف[٣].

ح. فضيلة الصلاة على النبي ﷺ:

أخرج مسلم[٤] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ((من صلى عليّ واحدةً صلى الله عليه عشرًا)).

---

(١) أحمد (٨/٤) وأبو داود (٨٨٣) والنسائي (١٣٧٤).

(٢) صحيح ابن خزيمة (١١٨/٣)، وابن حبان (٩١٠) والحاكم (٤١٣/١).

(٣) السنن الكبرى للبيهقي (٢٤٩/٣).

(٤) مسلم (٤٠٨).

وروى أحمد، وابن ماجه[1] بسند حسن عن عامر بن ربيعة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((من صلى علي صلاةً لم تزل الملائكةُ تصلي عليه ما صلى عليّ، فلْيُقِلَّ عبدٌ من ذلك أو لِيُكْثِرْ)).

وروى أحمد[2] بسند حسن عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: ((من صلى على رسول الله ﷺ صلاةً صلى الله عليه وملائكته سبعين صلاة، فَلْيُقِلَّ عبدٌ من ذلك أو لِيُكْثِرْ)). موقوف لفظًا مرفوع حكمًا؛ لأنه لا يقال بالرأي.

ط. ويكره إفراد الصلاة عن السلام. قاله النووي في شرح مسلم، واستدل بورود الأمر بهما معًا في الآية.

ي. ويسن أن تُقْرَن الصلاةُ على النبي ﷺ بالصلاة على الآل، والأفضل أن نَضُمّ الصحب رضي الله عنهم.

---

(١) أحمد (٣/٤٤٥) وابن ماجه (٩٠٧).

(٢) أحمد (٢/١٧٢).

محبة أصحابه وقرابته وأهل بيته وذريته

محبة قرابته وأهل بيته وذريته:

قال محب الدين الطبري في ذخائر العقبى: اعلم أن الله تعالى اصطفى نبيه ﷺ على جميع من سواه، وخصه بما عمه به من فضلِه الباهر وحباه، وأعلى منزلةَ مَنْ انتَمَى إليه نسبًا أو صحبة أو مناصرة، وفرض محبة أهل بيته. اهـ.

قال الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [الشّورى: ٢٣].

وروى ابن جرير عن عكرمة أنه كان ينادي في السوق: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة.

قال الحافظ ابن كثير: وهذا -يعني ما في الآية- نصٌّ في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت ههنا، إذ الخطاب فيما قبله لهن، وسبب النزول داخل فيه قولًا واحدًا، إما وحده على قول ابن عباس وعكرمة ومقاتل، أو مع غيره على الصحيح، إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ يومًا فينا خطيبًا بماء يُدعى خُمًّا بين مكة والمدينة، (على ثلاثة أميال من الجحفة) فحَمِدَ الله وأثنى عليه ووَعَظ وذكّر، ثم قال: "أما بعد، ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتيَ

رسولُ ربي عز وجل، فأجيب، وأنا تارك فيكم ثَقَلَيْنِ[1]: أولهُما كتابُ الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به" فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: "وأهل بيتي، أذكّرُكم اللهَ في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي".

فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال زيد: نساؤه من أهل بيته، ولكنْ أهلُ بيته من حُرِمَ الصدقَة بعده. قال: ومن هم؟ قال زيد: هم آلُ علي، وآلُ عَقيلٍ، وآلُ جعفر، وآل عباسٍ. قالوا: كل هؤلاء حُرِم الصدقَة؟ قال زيد: نعم. رواه مسلم[2].

ولمسلم من وجه آخر: فقلنا لزيد: من أهل بيته؟ نساؤه؟ قال: لا، وايْمُ الله إن المرأة تكون مع الرجلِ العصرَ من الدهر، ثم يطلقها فترجعُ إلى أبيها وقومها! أهل بيته: أصله وعَصَبَتُه، الذين حُرِمُوا الصدقَة بعده. اهـ[3].

---

(١) الثَّقَلُ: كل شيء نفيس مصون.

(٢) مسلم (٢٤٠٨).

(٣) قال النووي: فتتأول الرواية الأولى على أن المراد أنهن من أهل بيته الذين يساكنونه ويعولهم، وأمر باحترامهم وإكرامهم، وسماهم ثقلا، ووعظ في حقوقهم وذكّر، فنساؤه داخلات في هذا كله، ولا يدخلن فيمن حرم الصدقة، وقد أشار إلى هذا في الرواية الأولى بقوله: نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة، فاتفقت الروايتان.

قال عياض: فيه حجة لمالك في قَصْرِهِ المنعَ على بني هاشم؛ لأنه لم يذكر سواهم. وأدخل الشافعي معهم بني المطلب، لحديث: "نحن وبنو المطلب شيء واحد"[1]، ومال إليه بعضُ شيوخنا. اهـ.

وليس المرادُ بالأهل الأزواجَ الطاهراتِ رضي الله عنهن فقط، بل هم مع آله أهلُ البيت، وهذا اختيارُ ابن عطية، والجمهورُ على أنهم علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم.

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: أُرقُبوا محمدًا ﷺ في أهل بيته. رواه البخاري[2]، والمراد: احفظوه فيهم فلا تؤذوهم.

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: والذي نفسي بيده! لَقَرابةُ رسولِ الله ﷺ أحبُّ إلي أن أَصِلَ من قرابتي. رواه البخاري[3].

وقد جرى منه على موجب الإيمان؛ لأنه عليه الصلاة والسلام قال: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين". متفق عليه[4].

---

(١) البخاري (٤١٣٧).
(٢) البخاري (٣٧١٣).
(٣) البخاري (٣٧١٢).
(٤) البخاري (١٥). ومسلم (٤٤).

ثم إنه عليه الصلاة والسلام أثبت لأقاربه ما أثبت لنفسه من ذلك فقال: "من أحبهم فبحبي أحبهم"[١]. وفي الترمذي وقال حسن غريب[٢]: قال ﷺ: "أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه، وأحبوني بحب الله، وأحبوا أهل بيتي بحبي".

وفي فضائل الصحابة لأحمد[٣] أن النبي ﷺ قال: "من أبغضَنا ـ أهلَ البيت ـ فهو منافق". اهـ أي: نفاقًا عمليًا، فإن كان من حيث كونُهم من أهل البيت فحقيقي.

والمراد بالقرابة من ينتسب إلى جده الأقرب، وهو عبد المطلب، ممن صَحِبَ النبي ﷺ منهم، أو رآه، من ذكر أو أنثى.

وفي الصحيحين[٤] من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال لعلي رضي الله عنه: "ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي". اهـ وخلافة هارون على قوم موسى في حال حياته.

---

(١) الترمذي (٣٨٦٢).

(٢) الترمذي (٣٧٨٩).

(٣) فضائل الصحابة لأحمد (٦٦١/٢) و(١١٢٦).

(٤) البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤).

وللطبراني وأحمد بإسناد صحيح[1] أنه ﷺ خطب بغَدِير خُمٍّ، وهو موضع بالجحفة، من حجة الوداع، فذكر الحديث، وفيه: "يا أيها الناس، إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم والِ مَنْ والاه، وعادِ من عاداه، وأَحِبَّ من أحبه، وأَبْغِضْ من أبغضه، وانصُرْ من نصره، واخْذُل من خذله، وأَدِرِ الحق معه حيث دار". اهـ. جاء من طرق صحح الذهبي كثيرًا منها.

وأخرج المخَلِّص الذهبي والطبراني بسند حسن[2] عن أم سلمة رضي الله عنها مرفوعًا: "من أحب عليًا فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغض عليًا فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله".

وفي مسلم[3] عن علي رضي الله عنه: والذي فَلَقَ الحَبة، وبرأ النَّسَمة، إنه لَعَهْدُ النبي الأمي ﷺ إلي، أنْ لا يحبني إلا مؤمن، ولا يُبغضَني إلا منافق.

وفي البخاري[4]: "فاطمة بَضعَة مني، فمن أَغضبها أغضبني". وفي مسلم[5]: "إنما فاطمة بَضْعة مني يؤذيني ما آذاها".

---

(١) مسند أحمد (١/١١٨) و(١١٩)، سنن النسائي الكبرى (٥/١٣٢) و(٨٤٧٣) و(٥/١٣٤) و(٨٤٧٨)، والطبراني الكبير (٥/١٩٢).
(٢) المعجم الكبير للطبراني (٢٣/٣٨٠)، مجمع الزوائد (٩/١٨٠).
(٣) مسلم (٧٨).
(٤) البخاري (٣٧١٤).
(٥) مسلم (٢٤٤٩).

وفي الترمذي[١] من حديث أسامة ﷺ وقال: حسن غريب، أنه ﷺ قال في حسن وحسين ﷺ: "اللهم إني أُحبهما، فأَحِبَّهما، وأَحِبَّ من يُحبهما".

وخرجه البخاري ومسلم[٢] في الحسن ﷺ خاصة: "اللهم إني أُحبه فأَحبه، وأَحب من يُحبه".

وفي البخاري[٣]: "هما ريحانتايَ من الدنيا".

وعن عقبة بن الحارث ﷺ: رأيت أبا بكر حمل الحسن على عنقه، وهو يقول: بأبي شبيه النبي، ليس شبيهًا بعلي. رواه البخاري[٤].

وقال ﷺ لجعفر ﷺ: "أشبهت خَلْقي وخُلُقي". رواه البخاري والترمذي[٥].

وقال ﷺ للعباس ﷺ: "والذي نفسي بيده، لا يدخل قلبَ رجلٍ الإيمانُ حتى يحبكم لله ورسوله"، ثم قال: "يا أيها الناس، من آذى عمي فقد آذاني، فإنما عم الرجل صِنْوُ أبيه" رواه الترمذي[٦]، وقال: حسن صحيح.

وعن ابن عباس ﷺ قال: قال ﷺ للعباس ﷺ: "إذا كان غداةَ الاثنين فأتني أنت وولدُك، حتى أدعو لكم بدعوة ينفعُك الله بها وولدَك". فغدا وغدونا

---

(١) الترمذي (٣٧٦٩).
(٢) البخاري (٥٨٨٤) ومسلم (٢٤٢١).
(٣) البخاري (٣٧٥٣).
(٤) البخاري (٣٥٤٢).
(٥) البخاري (٢٧٠٠) والترمذي (٣٧٦٥).
(٦) الترمذي (٣٧٥٨).

معه، وألبَسَنا كساءً، ثم قال: " اللهم اغفر للعباس وولدِهِ مغفرةً ظاهرة وباطنة، لا تغادر ذنبًا، اللهم احفظه في ولده". رواه الترمذي وقال: حسن غريب[1].

وبيّن أبو نعيم والطبراني في روايتهما[2] أن بنيه الذين جُلِّلُوا بالكساء كانوا ستة: الفضلُ وعبد الله وعبيد الله وقُثَمُ ومَعْبدٌ وعبد الرحمن ﷺ، قال: وغطاهم بشملة له سوداءَ مخططةٍ بحُمْرة، وقال: "اللهم إن هؤلاء أهل بيتي وعترتي، فاسترهم من النار كستري إياهم بهذه الشملة" فما بقي في البيت مَدَرة ولا باب إلا أَمّنَ (معجزة).

وروي أنه ﷺ قال لعقيل ﷺ: "يا أبا يزيد، إني أحبك حبين: حبًا لقرابتك مني، وحبًا لما كنت أعلم من حب عمي لك". أخرجه الحاكم والطبراني مرسلًا، ورجاله ثقات[3].

وروى الحاكم[4] وصححه على شرط مسلم أنه ﷺ قال يوم حنين: "أبو سفيان بن الحارث خيرُ أهلي، أو من خير أهلي".

---

(١) الترمذي (٣٧٦٢).

(٢) معرفة الصحابة لأبي نعيم (٣٩٥١)، ومعجم الطبراني الأوسط (٢٣٦/٤) و(٤٠٧١)، ومعجم الصحابة لابن قانع (٧٩٣).

(٣) الحاكم (٦٦٧/٣) والمعجم الكبير للطبراني (١٩١/١٧). مجمع الزوائد (٢٧٣/٩).

(٤) الحاكم (٢٨٥/٣)، والطبراني الكبير (٣٢٧/٢٢) والأوسط (٣٣٠/٦) و(٦٥٤٦) قال في مجمع الزوائد (٢٧٤/٩): وإسناده حسن.

قال القسطلاني في المواهب اللدُنّيّة: واعلم أنه قد اشْتَهَرَ أربعةُ ألفاظ هي:

١- آله. ٢- أهل بيته. ٣- ذوو القربى. ٤- عترته.

فأما الأولى: فذهب قوم إلى أنهم أهل بيته. وقال آخرون: هم الذين حَرُمَتْ عليهم الصدقةُ، وعُوّضوا عنها خُمُسَ الخُمُس. وقال آخرون: من دان بِدِينه وتبعه فيه.

وأما الثانية: وهي أهل بيته، فقيل: من ناسبه إلى جده الأدنى، وقيل: من اجتمع معه في رحم، وقيل: من اتصل به بنسب أو بسبب.

وأما الثالثة: وهي ذوو القربى، فقيل: علي وفاطمة وابناهما رضي الله عنهم، وقيل: هم ولد عبد المطلب، وقيل: قريش.

وأما الرابعة: وهي عترته، فقيل: العشيرة، وقيل: الذرية. اهـ.

والعترة: الأهل والنسل والأقارب كما قال الجوهري.

محبة الصحابة رضي الله عنهم:

قال الله فيهم: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

وهذه الآية تخبر بأن محمدًا رسولُ الله حقًا من غير شك ولا ريب، ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ يعني أصحابه ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ فوصفهم بالشدة والغلظة على الكفار، والرحمةِ والبِر بالأخيار، ثم أثنى عليهم بكثرة الأعمال بقوله: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ مع الإخلاص التام ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ﴾ فمن نظر إليهم بعين البصيرة أعجبته منهم أي: سكينتهم ووقارهم وهديهم لخلوص نياتهم، وحسن أعمالهم.

قال مالك: بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام في زمن عمر يقولون: والله لَهؤلاء خيرٌ من الحواريين فيما بلغنا.

وصدقوا، فإن الصحابة رضي الله عنهم لم يزل ذكرهم معظمًا في الكتب الإلهية، كما قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ﴾ أي: وصفُهم، ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ﴾ أي: كحبة واحدة، ﴿أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ أي: فراخه، ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ أي: شَدّه

وقَوّاه، ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ شَبّ فطال، ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ أي: قوي واستقام، ﴿عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ أي: أصوله، ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ قوتُه وغِلَظُه وحسنُ منظره، فكذلك أصحابُ محمد ﷺ آزروه وأيدوه ونصروه، فهم معه كالشطء مع الزرع ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ فمُبْغِضُ الصحابة ﷺ على خطرِ أن ينطبق عليه هذا الوصف.

والأحاديث في فضل الصحابة ﷺ كثيرة جدًا، وحسبك قوله ﷺ: "لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدَكم أنفق مثلَ أُحُدٍ ذهبًا، ما بلغ مُدَّ أحدِهم ولا نَصِيفَه". أخرجه الأئمة الستة[1].

ويكفي ثناءُ الله عليهم ورضاه عنهم، وقد وعدهم الله مغفرة وأجرًا عظيمًا، هو الجنة، ووعدُ الله حق وصدق، ولا يُخْلَف، ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥] و (مِنْ) في قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم﴾ لبيان الجنس.

وقد عَرَّفُوا الصحابِيَّ: من اجتمع بالنبي ﷺ في حياته، ومات على ذلك. وقد أجمع جمهور العلماء من السلف والخلف على أنهم خيرُ خلق الله وأفضلُهم بعد النبيين والمرسلين وخواص الملائكة المقربين، لما في الصحيحين[2] عن عبد الله بن مسعود ﷺ: أن النبي ﷺ قال: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم".

---

(١) البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠).

(٢) البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣).

قال في فتح الباري: والقرن أهل زمان واحد متقارب، اشتركوا في أمر من الأمور المقصودة، ويُطلق على مدة من الزمان، واختلفوا في تحديدها من عشرة أعوام إلى مائة وعشرين، وعند مسلم ما يدل على أن القرن مائة سنة، وهو المشهور.

وقال صاحب المحكم: السبعون هو القدر المتوسط من أعمار أهل كل زمان، وهذا أعدل الأقوال.

وقد ضبط الأئمة من الحفاظ آخرَ من مات من الصحابة على الإطلاق بلا خلاف أبو الطفيل عامر بن واثلة اللَّيْثي رضي الله عنه، كما جزم به مسلم في صحيحه، وكان موته سنة عشر ومائة، وهو الذي صححه الذهبي، وهو مطابق لقول النبي ﷺ قبل وفاته بشهر، في الصحيحين[1] عن ابن عمر رضي الله عنهما: صلى بنا ﷺ العشاء، فلما سلم قام فقال: "أرأيتَكم ليلتَكم هذه، فإنه على رأسِ مائةِ سنةٍ منها لا يبقى على وجه الأرض ممن هو اليومَ عليها أحدٌ".

والصحابة رضي الله عنهم على ثلاثة أصناف: المهاجرون والأنصار، وحلفاؤهم ومواليهم، الثالث: من أسلم يوم الفتح. والمهاجرون أفضل من الأنصار، وهذا على سبيل الإجمال، وأما على سبيل التفصيل فإن جماعة من سُبَّاق الأنصار أفضلُ من متأخري المهاجرين، والمهاجرون متفاوتون، فَرُبَّ متأخرٍ في الإسلام أفضل من مُتَقَدِّمٍ عليه.

(١) البخاري (١١٦)، ومسلم (٢٥٣٧).

وقد ذكر الحاكم أبو عبد الله للصحابة طبقاتٍ:

١- قوم أسلموا بمكة أول المبعث، وهم سُبَّاق المسلمين، مثل خديجةَ بنتِ خويلد، وعلي بن أبي طالب، وأبي بكر، وزيدِ بن حارثة، وبقيةِ العشرة، وبلالٍ.

٢- أصحاب دار الندوة.

٣- الذين هاجروا إلى الحبشة فرارًا بدينهم من أذى المشركين، منهم جعفر ابن أبي طالب، وأبو سلمة عبدُ الله بنُ عبد الأسد.

٤- أصحاب العقبة الأولى، وكانوا ستة.

٥- أصحاب العقبة الثانية، وكانوا اثني عشر.

٦- المهاجرون إلى المدينة قبل أن يُبْنَى المسجد، أي: عندما كان بقباء.

٧- أهل بدر الكبرى.

٨- الذين هاجروا بين بدر والحديبية.

٩- أهل بيعة الرضوان "لا يدخل النارَ إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد". رواه مسلم(١).

١٠- الذين هاجروا بعد الحديبية وقبل الفتح.

١١- الذين أسلموا يومَ الفتح، وهم خلق كثير.

١٢- صبيانٌ أدركوا النبي ورأوه يوم الفتح وبعده في حجة الوداع.

ثم انقطعت الهجرة بعد الفتح.

---

(١) مسلم (٢٤٩٦).

وأما عدة أصحابه، فقد قال كعب بن مالك ﷺ: والمسلمون مع رسولِ الله ﷺ كثير، لا يجمعهم كتاب حافظ. يريد الديوانَ. رواه الشيخان[١].

ففي حجة الوداع روي أنه كان الحاضرون تسعين ألفًا، وروي أن الذين ساروا إلى تبوك سبعين ألفًا.

وقد روي أنه قبض ﷺ عن مائة وأربع وعشرين ألفًا، والله أعلم بحقيقة ذلك.

وأفضل الصحابة ﷺ على الإطلاق: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي.

عن ابن عمر ﷺ قال: كنا نُخَيّر بين الناس في زمن رسول الله ﷺ، فنخير أبا بكر، ثم عمرَ، ثم عثمانَ بن عفان. رواه البخاري[٢].

وعنه: كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحدًا، ثم عمرَ، ثم عثمانَ، ثم نتركُ أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم. رواه البخاري أيضًا[٣].

وعنه: كنا نقولُ وَرسولُ الله ﷺ حي: أفضلُ أمة النبي ﷺ بعده أبو بكر، ثم عمرُ، ثم عثمانُ. رواه أبو داود[٤]، وزاد الطبراني في رواية: فيسمع رسول الله ﷺ ذلك فلا ينكره.

---

(١) البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

(٢) البخاري (٣٦٥٥).

(٣) البخاري (٣٦٩٧).

(٤) أبو داود (٤٠١٢) والطبراني الكبير (٢٨٥/١٢).

قال الحافظ ابن حجر: اتفق العلماء على تأويل كلام ابن عمر هذا، لما تقرر عند أهل السنة قاطبةً من تقديم علي بعد عثمان، ومن تقديم بقية العشرة على غيرهم، ومن تقديم أهل بدر على من لم يشهدْها وغيرِ ذلك.

فالظاهر أن ابن عمر ﷺ إنما أراد بهذا النفي أنهم كانوا يجتهدون في التفضيل، فيظهر لهم فضائلُ الثلاثة ظهورًا بينًا، فيجزمون به، ولم يكونوا حينئذٍ اطلعوا على التنصيص.

ويؤيده ما رواه البزار عن ابن مسعود ﷺ[1] قال: كنا نتحدث أن أفضل أهل المدينة علي بن أبي طالب. رجاله موثقون. وهو محمول على أن ذلك قاله ابن مسعود بعد قتل عمر ﷺ.

وقد حمل الإمام أحمد كلام ابن عمر ﷺ على الترتيب في التفضيل، واحتج في التربيع بعلي ﷺ بحديث سفينة ﷺ مرفوعًا: "الخلافة بعدي ثلاثون، ثم تصير ملكًا". أخرجه أصحاب السنن وصححه ابن حبان وغيره[2].

وجمهور أهل السنة على تقديم علي بعد عثمان ﷺ.

وذهب بعض السلف إلى تقديم علي على عثمان ﷺ، وممن قال به سفيان الثوري.

وقال مالك: لا يُفَضَّل أحدُهما على الآخر.

---

(١) مسند البزار (٣٤٧/٢) و(١٦١٦) ومجمع الزوائد (١٥٢/٩).

(٢) أبو داود (٤٠٢٨). الترمذي (٢٢٢٦). ابن حبان (٦٦٥٧).

وقال يحيى بن معين: من قال أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعرف لعلي سابقتَه وفضلَه، فهو صاحب سنة.

وقال الشافعي: أجمع الصحابة وأتباعهم على أفضلية أبي بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي. رواه البيهقي في الاعتقاد عنه.

فمحبةُ من أحبه الرسول ﷺ، كآل بيته وأصحابِه، علامةٌ على محبة الرسول ﷺ، كما أن محبته عليه الصلاة والسلام علامةٌ على محبة الله تعالى. وكذلك عداوةُ من عاداهم، وبغضُ من أبغضهم، وسبُّهم، فمن أحب شيئًا أحب من يحب، وأبغض من يُبغض.

قال تعالى:﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

فحب آل بيته ﷺ وأصحابِه وأولادِه وأزواجِه من الواجبات المتعينات، وبغضهم من الموبِقات المُهْلِكات.

ومن محبتهم وجوبُ توقيرهم وبرهم، والقيامُ بحقوقهم والاقتداءُ بهم، بأن يمشيَ على سنتهم وآدابهم وأخلاقهم، والعملُ بأقوالهم مما ليس للعقل فيه مجال، وحسنُ الثناء عليهم، بأن يُذكروا بأوصافهم الجميلة على قصد التعظيم، فقد أثنى

عليهم الله تعالى في القرآن المجيد، ومن أثنى عليه فهو واجب الثناء عليه، والاستغفارُ لهم.

قالت عائشة ﵂: أُمِرُوا أن يستغفروا لأصحاب رسول الله ﷺ فَسَبُّوهم. رواه مسلم [1].

وقال سهلُ بن عبد الله التُّسْتَري: لم يؤمن بالرسول ﷺ مَنْ لم يوقر أصحابه، ولم يُعَزِّر (يُعَظِّم) أوامره.

ومما يجب أيضًا الإمساكُ عما شجر بينهم، والإضرابُ عن أخبار المؤرخين، وجهلةِ الرواة، وضُلاَّلِ المبتدعة، القادحة في أحد منهم.

قال ﷺ: "إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذُكرت النجومُ فأمسكوا، وإذا ذُكر القَدَرُ فأمسكوا". رواه الطبراني[2]. قال العراقي: ضعيف، وقال غيره: حسن لاعتضاده بشواهد.

وأن يلتمسَ لهم فيما نُقل من ذلك فيما كان بينهم من الفتن أحسنَ التأويلات، ويُخرّج لهم أصوبَ المخارج، إذ هم أهل لذلك، كما هو مشهور من مناقبهم، ومعدودٌ في مآثرهم. وما وقع بينهم من المنازعات والمحاربات، فله محاملُ وتأويلات.

فسبُّهم والطعن فيهم -إذا كان مما يخالف الأدلة القطعية- كفرٌ، كقذف السيدة عائشة ﵂، وإلا فبدعة وفسق.

---

(١) مسلم (٣٠٢٢).

(٢) المعجم الكبير (٩٦/٢) عن ثوبان، و(١٩٨/١٠) عن ابن مسعود.

قال عياض: ذهب الجمهور إلى أنه يُعَزَّرُ، وعن بعض المالكية: يقتل. وخصه بعض الشافعية بالخلفاء الأربعة، وقواه السُّبْكي في حق من كَفّر الشيخين، وكذا من كفّر من صرح النبي ﷺ بإيمانه، أو تبشيرِه بالجنة، إذا تواتر الخبر بذلك عنه، لما تضمنه من تكذيبه ﷺ.

وقال مالك: من أَبَغَضَ الصحابةَ فليس له في فَيْءِ المسلمين حق.

الفصل الخامس

معجزاته ﷺ

المعجزة: أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، الذي هو دعوى الرسالة أو النبوة، مع أمن المعارضة (يَعْجِزُ البشر عن الإتيان بمثله)، موافق للدعوى.

واعتبر المحققون في المعجزة شروطًا سبعة:

١- أن تكون قولًا كالقرآن، أو فعلًا كنبع الماء من بين أصابعه ﷺ، أو تركًا كعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وأما الصفة القديمة كما إذا قال: آية صدقي أن الله متصف بالقدرة، فليست بمعجزة.

٢- أن تكون خارقةً للعادة، والعادةُ ما دَرَج عليها الناس، واستمروا مرة بعد أخرى، فغير الخارق ليس بمعجزة.

٣- أن تكون على يد مدعي الرسالة أو النبوة، فتخرُجُ الكرامة، والمعونة، والاستدراج.

٤- أن تكون مقرونةً بدعوى النبوة أو الرسالة، حقيقةً أو حكمًا، بأن تأخرت بزمن يسير، فيخرج الإرهاص، وهو ما كان قبلُ. قال المحققون: التحدي: الدعوة للرسالة، فما جاء بعدها فهو معجزة، وإن لم يطلب الإتيان بالمثل.

٥- أن تكون موافقةً للدعوى، فخرجت المخالِفة، كما إذا قال: آية صدقي انفلاق البحر، فانفلق الجبل، وخرجت الإهانة.

٦- أن لا تكون مكذبةً له، فخَرَجَتْ المكذِّبة، كما إذا قال: آية صدقي نطق هذا الجماد، فنطق بأنه مفتر كذابٌ.

٧- أن تتعذر المعارضة، فخرج السحر.

وأما قول بعضهم: ((مع عدم المعارضة))، فلا يفي بالمقصود، لأنه لا يتحقق بعدم المعارضة العجزُ عن الإتيان بمثله، الذي هو المفهوم من المعجزة، وهو إثبات عجز المنكرين عن الإتيان بمثله.

وأما التحدي بمعنى طلب المعارضة والمقابلة، فلم يقع من النبي ﷺ إلا في القرآن الكريم، في قوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٣].

وإلا في انشقاق القمر، كما جاء في الحديث.

وإلا في تمني الموت بالنسبة لليهود: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الجُمُعَة: ٦]. فلم يفعلوا.

قال ابن عباس رضي الله عنه: لو تَمَنَّوُا الموتَ لَشَرِقَ أحدُهم بِرِيقِه. أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم.

وقد ذكر القسطلاني في المواهب: أن شرط التحدي بهذا المعنى قول لا دليل عليه، لا من كتاب ولا سنة ولا من قول صاحب ولا إجماع، وأكثر معجزات الرسول ﷺ وأبلغها كان بلا تَحَدٍّ، كنطق الحصا، ونبع الماء، وحنينِ الجذع، وتكثيرِ الطعام القليل.

ونَقَل عن العلماء قولَهم: كان ﷺ يقول عند ورود آية من هذه الآيات: ((أشهد أني رسول الله)) وهذا يدل على أن التحدي: دعوى الرسالة.

وقولَهم: والوجهُ الدافع لهذا القول قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَاۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩]. وقال تعالى:﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَۚ﴾ [الإسرَاء: ٥٩] فلم يشترط في الآيتين تحديًا، وعليه يكفي دعوى الرسالة.

٨-وزاد بعضهم شرطًا ثامنًا، وهو: أن لا تكون في زمن نقض العادة، كزمن طلوع الشمس من مغربها، فخرج ما يقع من الدجال، كأمره للسماء فتمطر، وللأرض فتنبت.

قال بعضهم: لا حاجة لهذا الشرط، لأن الدجالَ يَدَّعِي الألوهية، وقد دلت قواطع النصوص على وصفه وكذبه، فقد جاء في الصحيحين[1]: ((ما من نبي إلا وقد أنذر أمتَه الأعورَ الكذاب، ألا إنه أعورُ، وإن ربكم ليس بأعورَ)).

(١) البخاري (٧١٣١)، ومسلم (٢٩٣٣).

وقال ﷺ: ((إنه شابٌّ قَطَطٌ (شديد الجعودة)، عينُه طافئةٌ، كأني أُشَبِّهه بعبدِ العُزّى بنِ قَطَنٍ، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتحَ سورةِ الكهف)) رواه مسلم(١).

والحكمة من إعطائه هذه الأمور الخارقة للعادة الفتنةُ والامتحان، وحتى لا نغتر بخوارق العادات إذا جرت على يد الضالين أو المشعوذين، فالولي يدل على الكرامة، والكرامة لا تدل على الولي.

وقد رُوي عن الشافعي: إذا رأيتم الرجلَ يطير في الهواء، أو يمشي على الماء، فلا تغتروا به حتى تَعْرِضوا أمره على الكتاب والسنة.

المعجزة أمر وهبي لا كسبي:

وذلك أن النبوة أمر وهبي، يختص الله به من يشاء من عباده، فلن يُنال بالسعي والاجتهاد، ولا بالعبادة والصلاح، والإخلاص والتقوى، مهما بلغت.

وكذلك المعجزات يختص الله بها من يشاء من رسله أو أنبيائه، ليقيم الحجة على قومه، وهي مُنَزَّلَةٌ مَنْزِلَةَ قول الله سبحانه: صدق عبدي فيما يبلغ عني.

(١) مسلم (٢٩٣٧).

دلائل نبوته وعظيم معجزاته

دلائل نبوته كثيرة، والأخبار بظهور معجزاته شهيرة، منها:

القرآن العظيم:

فقد تحداهم به بما فيه من الإعجاز، ودعاهم إلى معارضته، والإتيان بسورة من مثله، فنَكَلوا عنه، وعَجَزوا عن الإتيان بشيء منه.

وهذا أبلغ في الآية، وأوضح في الدلالة، من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص؛ لأنه أتى أهلَ البلاغة والفصاحة ورؤساء البيان والمتقدمين في اللَّسَن بكلام مفهوم المعنى عندهم، فعَجْزُهم عن الإتيان بمثله حجة قاطعة، وبرهان واضح على رسالته ﷺ، وهو باق دون غيره من المعجزات. قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا﴾ [البَقَرَة: ٢٣، ٢٤].

وقال سبحانه: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسرَاء: ٨٨].

وقد ورد من الأخبار في قراءة النبي ﷺ بعضَ ما نزل عليه على المشركين الذين كانوا أهلَ الفصاحة والبلاغة، وإقرارهم بإعجازه، جُمَلٌ كثيرة، منها:

١- ما رواه مسلم في الفضائل[١] في حديث إسلام أبي ذر رضي الله عنه أن أخاه أنيسًا رضي الله عنه -وكان شاعرًا- قال له: إن لي حاجةً بمكة، فانطلَقَ أنيس حتى أتى مكة، فراث علي -أي تأخر- ثم جاء، فقلتُ: ما صنعتَ؟ فقال: لَقِيتُ رجلًا بمكة على دينك، يزعم أن الله أرسله، قلت: فما يقول الناسُ؟ قال: يقولون: شاعر، كاهن، ساحر، وكان أنيس أحد الشعراء، قال أنيس: لقد سمعت قولَ الكهنةَ، فما هو بقولهم، ولقد وضعتُ قوله على أَقراء (أنواع) الشعر فما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر، والله إنه لصادق، وإنهم لكاذبون.

٢- روى ابن إسحاق والحاكم في المستدرك والبيهقي في دلائل النبوة بإسناد جيد عن ابن عباس رضي الله عنهما[٢]، في قصة الوليد بن المغيرة، وكان زعيم قريش، أنه قال للنبي ﷺ: اقرأ عليّ. فقرأ عليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النّحل: ٩٠].

قال الوليد: أعد قراءتك. فأعاد ﷺ الآية، فقال: والله إن له لَحلاوةً، وإن عليه لَطلاوةً، وإن أعلاه لَمُثْمِرٌ، وإن أسفلَه لَمُغْدِقٌ، وما يقول هذا بشرٌ.

ثم قال لقومه: والله ما فيكم رجلٌ أعلمَ بالأشعار مني، ولا أعلَمَ برَجَزِه، ولا بأشعارِ الجن، والله ما يُشبه الذي يقول شيئًا من هذا، والله إن لقوله الذي

(١) مسلم (٢٤٧٣).

(٢) المستدرك (٢/٥٥٠)، دلائل النبوة (٥٠٥).

يقول حلاوةً، وإن عليه لطلاوةً، وإنه لَمثمر أعلاه، مُغدق أسفلُه، وإنه ليعلو ولا يُعلى عليه اهـ جزء منه.

ووجوه الإعجاز في القرآن لا تنحصر ونذكر ستة أوجه مما ذكره العلماء:

١- فمن وجوه إعجازه الإيجازُ والبلاغة، مثل قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البَقَرَة: ١٧٩]. فجمع في كلمتين، عددُ حروفهما عشرةُ أحرف، معانيَ كلامٍ كثير.

وحكى أبو عبيد أن أعرابيًا سمع رجلًا يقرأ: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحِجر: ٩٤]، فسجد وقال: سجدت لفصاحة هذا الكلام. اهـ. (هَزَّهُ العجب لفصاحته حتى ذل ومرغ وجهه في التراب، وكان هذا معروفًا في مثله، حتى قال بعضهم: للشعر سَجَدات اهـ. الزرقاني على المواهب).

وسمع أعرابي رجلًا يقرأ: ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا﴾ [يُوسُف: ٨٠]، فقال: أشهد أن مخلوقًا لا يقدر على مثل هذا الكلام! (لإعجازه، وخروجه عن طوق البشر، فإنك لو وزنت قولك: ((لما لم يُطِعْهم يوسفُ ولم يُجِبْهم ذهبوا وتشاوروا فيما بينهم فيما يقولون بعد هذا، وكيف يرجعون لأبيهم)) عرفت بالذوق أن لا مناسبة بينهما اهـ. الزرقاني على المواهب).

وحكى الأصمعي أنه رأى جارية خُماسية أو سُداسية[1]، وهي تقول: أستغفر الله من ذنوبي كلها. فقلت لها: مِمَّ تستغفرين ولم يَجْرِ عليك قلم؟ فقالت:

أستغفر الله لذنبي كله ... قتلتُ إنساناً بغير حله
مثلَ غزالٍ ناعمٍ في دَلِّه ... انتصف الليلُ ولم أصلِّه

(تريد: قتلت نفسي بعدم فعل الطاعات، لانتصاف الليل وما صليت. اهـ. الزرقاني).

فقلت لها: قاتلك الله، ما أفصحَكِ! فقالت: أَوَ تُعِدُّ هذا فصاحةً، بعد قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القَصَص:٧]. فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين ووعدين (أو بشارتين)!

فهذا نوع من إعجازه منفردٌ بذاته.

وقد رام قومٌ من أهل الزيغ والإلحاد، أوتوا طرفًا من البلاغة، وحظًا من البيان، أن يعارضوا القرآن، فلما عَجَزوا عن ذلك مالوا إلى السور القصار؛ لوقوع الشبهة على الجهال فيما قل عددُ حروفه.

منهم مُسيلِمةُ الكذابُ، فقال: يا ضفدعُ نِقِّي كم تَنِقّين، أعلاكِ في الماء، وأسفلُكِ في الطين، لا الماءَ تُكَدّرِين، ولا الشرابَ تَمْنعين. فلما سمع أبو بكر

(١) الخُماسية: التي طولها خمسة أشبار.

ﷺ هذا قال: إنه لكلام لا يخرج من إِلٍّ (قال ابن الأثير: من ربوبيته، والإلّ هو الله تعالى، وقيل: الإلّ الأصل الجيد).

ولما سمع مُسَيلِمةُ الكذابُ لعنه الله ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا﴾ [النّازعَات: ١] قال: والزارعاتِ زرعًا، والحاصداتِ حصدًا، والذارياتِ قمحًا، والطاحناتِ طحنًا، والحافراتِ حفرًا، والثارداتِ ثَرْدًا، واللاقماتِ لَقْمًا، لقد فُضّلتم على أهل الوَبَر، وما سبقكم أهل المَدَر.. إلى غير ذلك من الهذيان.

وقال آخر: ألم تر كيف فعل ربك بالحُبْلى، أخرج من بطنها نسمةً تسعى، من بين شراسيفَ (غضاريفَ) وحشى.

وقال آخر: الفيل ما الفيل، وما أدراك ما الفيل، له ذنب وثيل (طويل) ومِشفَر طويل، وإن ذلك مِنْ خَلْقِ ربنا لقليل.

ففي هذا الكلام من السخافة ما لا يخفى على أحد.

٢- صورة نظمه العجيب، والأسلوبُ الغريب، والمخالف لأساليب كلام العرب، ومنها نظمُها ونثرُها، الذي جاء عليه ووقفت عليه مقاطع آياته، وانتهت إليه فواصل كلماته، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له. ما رام معارضتَه إنسان إلا تهافَتَ تهافُتَ الفراشِ في الشهاب.

٣- ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيَّبات المستقبلة التي لا يُطَّلع عليها إلا بوحي، والتي لم تكن فوُجدت كما ورد.

٤- ما أخبر به من أخبار القرون السالفة، والأمم البائدة، والشرائع السابقة، كالذي حكاه عن قصة أصحاب الكهف، وقصة موسى مع الخضر عليهما الصلاة والسلام، وقِصص الأنبياء وأممِهم.

٥- ما أخبر به عن بدء الخلق، وما في التوراة والإنجيل والزبور، وصحفِ إبراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام.

٦- كونُه جامعًا لعلوم كثيرة، وحكم بليغة، وكونُه جاء بتشريع يُسعد به الإنسانية، فيه خير الدنيا والآخرة، وقد أطال صاحب مناهل العرفان في هذه الأمور.

التحدي به:

أ- تحداهم سبحانه بالقرآن كله في أسلوب عام، يتناولهم ويتناول غيرهم مجتمعين، بقوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسرَاء: ٨٨].

ب- ثم تحداهم بعشر سُوَرٍ منه في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ [هود: ١٣ - ١٤].

جـ- ثم تحداهم بسورة واحدة منه في قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [يُونس: ٣٨]. وكرر هذا التحدي في قوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى

رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٣].

والقدر المعجز القليل والكثير.

انشقاق القمر:

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القَمَر: ١]. ويؤيده قوله تعالى بعد ذلك: ﴿وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ٢]. فإن ذلك ظاهر في أن المراد بقوله ﴿وَٱنشَقَّ﴾ وقوعُ انشقاقه.

ففي الصحيحين[١] من حديث أنس رضي الله عنه: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يُرِيَهم آيةً، فأراهم انشقاقَ القمر شقتين، حتى رأوا حراءً بينهما. وقوله شقتين: أي نصفين.

وفي الصحيحين[٢] من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فِرْقتين، فرقةً فوق الجبل، وفرقةً دونَه، فقال رسول الله ﷺ: ((اشهدوا)).

وأما تسبيح الحصى فليس له إلا طريق واحدة مع ضعفها.

وأما رد الشمس له ﷺ فلم يثبت، بل قالوا: لا أصل له.

---

(١) البخاري (٣٦٣٧)، ومسلم (٢٨٠٢).

(٢) البخاري (٣٦٣٦)، ومسلم (٢٨٠٠).

تسبيح الطعام:

أخرج البخاري[1] من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا نعُدُّ الآياتِ بركةً، وأنتم تعدونها تخويفًا، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فقَلّ الماء، فقال: ((اطلبوا فَضْلةً من ماء)) فجاءوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يدَه في الإناء، ثم قال: ((حَيَّ على الطَّهورِ المبارك، والبركةُ من الله)). فلقد رأيتُ الماء ينبُعُ من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يُؤْكل. اهـ.

وظاهره أن تسبيح الطعام وهو في الإناء وبعد وضعه في الفم، ومعنى قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسرَاء: ٤٤]. تسبيح حقيقي بلسان المقال، لا بلسان الحال، ويشهد له قوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسرَاء: ٤٤].

وفي قوله: (ونحن نسمع تسبيحه) تصريح بكرامة الصحابة بسماع هذا التسبيح وفهمِه، وذلك ببركته ﷺ.

تسليم الحَجَر عليه ﷺ:

أخرج مسلم في صحيحه [2] من حديث جابر بن سَمُرَةَ رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: ((إني لأعرفُ حَجَرًا بمكة كان يُسَلِّم علي قبلَ أن أُبْعَثَ، إني لأعرفُه الآن)).

---

(١) البخاري (٣٥٧٩).

(٢) مسلم (٢٢٧٧).

وقد اختُلف في هذا الحَجَر، فقيل: هو الحَجَر الأسود، وقيل: هو حَجَرٌ غيرُه بزُقاقٍ يُعرف به بمكة.

وروى الترمذي وقال: حسن غريب، والدارمي والحاكم وصححه[1]، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ بمكة، فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله جبل ولا شجر، إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله.

وروى البزار وأبو نُعيم[2] عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ((لما استقبلني جبريل بالرسالة جَعَلتُ لا أمرُّ بحجرٍ ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله)).

طاعة الجبل له ﷺ:

عن أنس رضي الله عنه قال: صَعِدَ النبي ﷺ أُحُدًا، وأبو بكر، وعمرُ، وعثمان، فرَجَفَ بهم، فضربه النبي ﷺ برِجْلِه وقال: ((اثْبُتْ أُحُدُ؛ فإنما عليك نبي وصِدّيق وشهيدان)) رواه البخاري وغيره[3].

(١) الترمذي (٣٦٢٦)، والدرامي (٢١)، والحاكم (٦٧٧/٢).

(٢) دلائل النبوة لأبي نعيم (١٥٨) ومسند إسحاق بن راهويه (٩٧١/٣) و(١٥٠٧) ومسند الحارث (٧١٧) ومجمع الزوائد (٤٦٥/٨).

(٣) البخاري (٣٦٧٥). أحمد (١١٢/٢). الترمذي (٣٦٩٧). أبو داود (٤٠٣٢).

وأُحُدٌ جبل بالمدينة، وهو الذي قال فيه ﷺ: ((أحد جبل يحبنا ونحبه)). متفق عليه [1]. واختُلف في المراد به، فقيل: أراد به أهلَ المدينة. قاله الخطابي. وحكى الحافظ المنذري عن البغوي: أن الأولى إجراؤه على الظاهر.

وأخرج مسلم[2] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان على حراءٍ، هو وأبو بكر وعمرُ وعثمانُ وعليٌّ وطلحةُ والزبيرُ، فتحركتِ الصخرةُ، فقال ﷺ: ((اسكن حراءُ؛ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد)). وفي رواية: وسعد بن أبي وقاص.

كلام الأشجار له، وسلامها عليه، وطواعيتها له، وشهادتها له بالرسالة ﷺ:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فأقبل أعرابي، فلما دنا منه قال له رسول الله ﷺ: ((أين تريد؟)) قال: إلى أهلي. قال: ((هل لك إلى خير؟)) قال: وما هو؟ قال: ((تشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمدًا عبدهُ ورسولُه)). قال: هل لك من شاهد على ما تقول؟ قال رسول الله ﷺ: ((هذه الشجرة)) فدعاها رسول الله ﷺ وهي على شاطئ الوادي، فأقبلت تَخُدّ الأرض خدًّا، فقامت بين يديه، فاستشهدها ثلاثًا فشهدت، ثم رجعت إلى مَنْبَتِها، ورجع الأعرابي إلى قومه وقال: يا رسول الله، إنْ يَتّبِعوني آتِكَ بهم، وإلا رجعتُ إليك وكنت معك. أخرجه ابن حبان[3].

---

(١) البخاري (١٤٨٢)، ومسلم (١٣٩٢).

(٢) مسلم (٢٤١٧).

(٣) ابن حبان (٦٥٠٥).

وعن بُرَيْدة رضي الله عنه قال: سأل أعرابيٌّ النبيَّ ﷺ آيةً بعد أن أسلم ليقوَى إسلامُه، فقال له: ((قل لتلك الشجرة: رسولُ الله يدعوك)). قال: فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها، وبين يديها وخلفَها، فتقطعت عروقها مُغْبَرّة، حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ، فقالت: السلام عليك يا رسول الله. قال الأعرابي: مرها فلترجع إلى منْبَتِها. فرجعت فدلت عروقَها في ذلك الموضع فاستقرت. فقال الأعرابي ائذن لي يا رسول الله أن أقبّل رأسك ورجليك. ففعل، ثم قال: ائذن لي أن أسجد لك. قال: ((لو أمرتُ أحدًا أن يسجد لأحد لأمرتُ المرأةَ أن تسجد لزوجها)). رواه البزار وأبو نُعيم في دلائل النبوة[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: بم أعرف أنك رسول الله؟ قال: ((إن دعوتُ هذا العِذْقَ من هذه النخلة، أتشهد أني رسول الله؟)) قال: نعم. فدعاه رسول الله ﷺ، فجعل يَنْزِل من النخلة حتى سقط إلى النبي ﷺ، ثم قال: ((ارجع)) فعاد، فأسلم الأعرابي، وقال: والله لا أكذبك بشيء تقوله بعد هذا أبدًا، أشهد أنك رسول الله، وآمن.

رواه الترمذي وصححه، وكذا رواه البخاري في التاريخ وأبو يعلى وابن حبان والحاكم[2].

وروى مسلم[3] جابر رضي الله عنه: سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا واديًا أَفْيَحَ (أي واسعًا)، فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته، فاتبعته بإِدَاوةٍ من ماء،

---

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم (٢٨١) ومجمع الزوائد (٥٦٦/٨).

(٢) الترمذي (٣٦٢٨) والبخاري في التاريخ (٣/٣) وابن حبان (٦٥٢٣)، والحاكم (٤٥٦/٣).

(٣) مسلم (٣٠١٤).

فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئًا يستتر به، فإذا شجرتان في شاطئ الوادي، فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما، فأخذ بغصن من أغصانها، فقال: ((انقادي علي بإذن الله تعالى)). فانقادت معه كالبعير المخشوش[1] الذي يصانع قائدَه، ثم فعل بالأخرى كذلك، حتى إذا كان بالمَنْصَف مما بينهما لأم بينهما ـ يعني جمعهما ـ فقال: ((التئما علي بإذن الله))، فالتأمتا.

حَنين الجِذْع:

الحنين: الشوق، وهنا الصوت الدال على الشوق. والجِذْع: ما بين العِرْق والغصنِ، وفي القاموس: الجذع: ساق النخلة.

رَوَى حديثَ حنينِ الجِذْع جماعةً من الصحابة ﷺ من طرق كثيرة، فهو صحيح قطعًا، بل متواتر على رأي البعض.

وقال القاضي عياضٌ: حديث الجِذْع مشهور منتشر، والخبر به متواتر. أخرجه أهل الصحيح، ورواه من الصحابة بضعةَ عشر.

رواه البخاري[2] عن ابن عمر ﷺ: كان النبي ﷺ يخطُب إلى جذْع، فلما اتخَذَ المنبرَ تحول إليه، فحَنّ الجِذْعُ، فأتاه فمسح يده عليه.

وفي رواية الإسماعيلي عن معاذ ﷺ: قال ﷺ: ((لو لم أفعل لما سَكَن)).

---

(١) هو الذي يُجعل في أنفه خشاش، وهو عود يُجعل في أنف البعير إذا كان صعبًا، ويُشد فيه حبل، ليَذِلَّ وينقاد.

(٢) البخاري (٣٥٨٣) .

وهذه الآية من أكبر الآيات والمعجزات الدالة على نبوة نبينا ﷺ، قال الشافعي: ما أعطَى الله نبيًا ما أعطى نبينا محمدًا ﷺ. فقيل له: أُعطي عيسى ﷺ إحياءَ الموتى. قال: أُعطي محمدٌ حنينَ الجِذْع حتى سمع صوته، فهي أكبر من ذلك.

وروى البخاري[1]: قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: كان المسجد مسقوفًا على جُذوع من نخل، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جِذْع منها، فلما صُنع له المنبرُ وكان عليه سمعنا لذلك الجِذْعِ صوتًا كصوت العِشار[2]، حتى جاء النبي ﷺ، فوضع يده عليها فسكنتْ.

قال القسطلاني: وقد عامله النبي ﷺ معاملة الحي العاقل، فالتزمه كما يلتزم الغائبُ أهلَه وأعزتَه.

كلام الحيوانات وطاعتها له ﷺ:

منها سجود الجمل وشكواه إليه ﷺ:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أهلُ بيت من الأنصار لهم جَمَلٌ يَسْنُونَ عليه (يسقون) وإنه استَصعَب عليهم فمنعهم ظهرَه، وإن الأنصار جاءوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إنه كان لنا جمل نُسْنِي عليه، وإنه استصعب علينا ومنعَنا ظهرَه، وقد عَطِش النخلُ والزرع، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: ((قوموا)).

---

(١) البخاري (٣٥٨٣).

(٢) العِشار: النُّوق الحوامل.

فقاموا، فدخل الحائط، والجملُ في ناحية، فمشى رسول الله ﷺ نحوه، فقالت الأنصار: يا رسول الله، قد صار مثل الكَلْب الكَلِب، وإنا نخاف عليك صولتَه. فقال رسول الله ﷺ: ((ليس علي منه بأس)).

فلما نظر الجملُ إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خر ساجدًا بين يديه، فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أَذَلَّ ما كان قط، حتى أدخله في العمل، فقال له أصحابه: يا رسول الله، هذه بهيمة لا تعقِلُ تسجُدُ لك! ونحن نعقل، فنحن أحق أن نسجد لك. فقال رسول الله ﷺ: ((لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صَلَح لبشر أن يسجد لبشر لأمرتُ المرأةَ أن تسجد لزوجها من عِظَم حقه عليها...)). رواه أحمد والنسائي في الكبرى بإسناد جيد [1].

ومنها قصة كلام الذئب:

رواها الإمام أحمد بإسناد جيد، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: عدا الذئب على شاة فأخذها، فطلبه الراعي، فانتزعها منه، فأقعى الذئبُ على ذنبه وقال: ألا تتقي الله! تَنْزِع مني رزقًا ساقه الله إلي؟ فقال الراعي: يا عجبي! ذئبٌ مُقْعٍ على ذَنَبِه يكلمني بكلام الإنس! فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجبَ من ذلك؟ محمد بيثرب، يُخبر الناس بأنباءِ ما قد سبق.

قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه، حتى دخل المدينة، فَزَوَاها إلى زاوية من زواياها، ثم أتىَ ﷺ فأخبره، فأمر رسولُ الله ﷺ فنُودي الصلاةَ جامعةً، ثم خرج فقال للأعرابي: ((أخبرهم)). فأخبرهم.

---

(١) أحمد (١٥٨/٣) والنسائي في الكبرى (٩١٠٢).

فقال ﷺ: ((صدق، والذي نفسي بيده، لا تقوم الساعة حتى يكلم السباعُ الإنسَ، ويكلمُ الرجلَ عَذَبةُ سَوطه وشِراك نعله، ويخبره فَخِذُه بما أحدث أهلُه من بعده))[1].

وأما حديث الضب فضعيف جدًا، وأما حديث الغزالة وحديث الحمار يعفور فلا أصل لهما.

نبع الماء من بين أصابعه ﷺ:

قال القسطلاني: وأما نبع الماء الطهور من بين أصابعه، وهو أشرف المياه، فقال القرطبي: قصة نبع الماء من بين أصابعه قد تكررت منه ﷺ في عدة مواطن في مشاهد عظيمة، وردت من طرق كثيرة، يفيد مجموعها العلمَ القطعي، المستفادَ من التواتر المعنوي.

وقال القاضي عياض: هذه القصة رواها الثقات من العدد الكثير، والجم الغفير، عن الكافة متصلة بالصحابة ﷺ، وكان ذلك في مواطنِ اجتماعِ الكثير منهم، في المحافلِ ومجامعِ العساكر. اهـ. الزرقاني.

ولم يُسمع بهذه المعجزة عن غير نبينا ﷺ، حيث نبع الماء من بين أصابعه ﷺ.

---

(١) مسند أحمد (٨٣/٣) و(٨٨) ورواه الترمذي (٢١٨١) والحاكم (٥١٤/٤) وصححاه، مقتصرَيْنِ على آخره المرفوع.

وقد نقل ابن عبد البر عن المُزَني أنه قال: نبع الماء من بين أصابعه ﷺ أبلغ في المعجزة من نبع الماء من الحجر، حيث ضربه موسى عليه الصلاة والسلام فتفجرت منه المياه؛ لأن خروج الماء من الحجارة معهود، بخلاف خروج الماء من بين اللحم والدم. اهـ. من كلام القرطبي.

وفي الصحيحين[1] عن أنس رضي الله عنه قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ وحانت صلاة العصر، فالتمس الناس الوَضوء فلم يجدوه، فأُتِيَ رسول الله ﷺ بوَضوء، فوَضَع يدَه في ذلك الإناء، فأمر الناسَ أن يتوضئوا منه، فرأيت الماء ينبُعُ من بين أصابعه، فتوضأ الناس حتى توضئوا من عند آخرهم. وفي لفظ للبخاري[2]: قلنا لأنس: كم كنتم؟ قال: ثمانين وزيادةً.

وروى الشيخان[3] عن أنس رضي الله عنه أيضًا: أن نبي الله ﷺ وأصحابه بالزوراء —قال: والزوراء بالمدينة عند السوق والمسجد— دعا بقدح فيه ماء، فوضع يده في الإناء، فجعل الماء ينبع من بين أصابعه، فتوضأ القوم. قلنا لأنس: كم كنتم؟ قال: ثلاث مئة أو زهاءَ ثلاث مئة. اهـ.

فهما قضيتان جرتا في وقتين حَضَرهما أنس رضي الله عنه، كما قال النووي.

وفي الصحيحين[4] عن جابر رضي الله عنه قال: عطش الناسُ يوم الحديبية، وكان رسول الله ﷺ بين يديه رِكْوةٌ يتوضأ منها، فجَهِشَ الناس نحوه، فقال: ((ما

(١) البخاري (١٦٩)، ومسلم (٢٢٧٩).
(٢) البخاري (١٩٥).
(٣) البخاري (٣٥٧٢)، ومسلم (٢٢٧٩).
(٤) البخاري (٣٥٧٦)، ومسلم (١٨٥٦).

لكم؟)) قالوا: يا رسول الله، ليس عندنا ماء نتوضأ به، ولا ماءٌ نشربه، إلا ما بين يديك. فوضع يده في الركوة، فجعل الماء يثور من بين أصابعه، كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا. قيل لجابر: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائةَ ألف لكفانا، كنا خمسَ عشْرةَ مائة.

وروي مثله عن ابن مسعود ﷺ في البخاري[1].

تفجر الماء ببركته ﷺ، وانبعاثه بمسه ودعوته ﷺ:

روى مسلم[2] في صحيحه عن معاذ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((إنكم ستأتون غدًا إن شاء الله عينَ تبوك، وإنكم لن تأتُوها حتى يُضْحِيَ النهارُ، فمن جاءها منكم فلا يَمَسَّ من مائها شيئًا حتى آتِيَ)).

قال: فجئناها وقد سَبَقَنا إليها رَجُلان[3]، والعينُ مثل الشِّراك، تَبِضُّ بشيء من ماء. فسألَهما رسولُ الله ﷺ: ((هل مَسِسْتُما من مائها شيئًا؟)) قالا: نعم، فَسَبَّهما النبي ﷺ، وقال لهما ما شاء الله أن يقول.

ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلًا قليلًا، حتى اجتمع في شيء، ثم غسل عليه الصلاة والسلام فيه وجهَه ويديه، ثم أعاده فيها، فَجَرَتِ العينُ بماء مُنْهَمِرٍ، فاستقى الناس، ثم قال عليه الصلاة والسلام: ((يوشك يا معاذ إن طالت بك حياةٌ أن ترى ما ها هنا قد مُلِئَ جِنانًا)). اهـ.

---

(١) البخاري (٣٥٧٩).

(٢) مسلم (٧٠٦).

(٣) في رواية ابن إسحاق أنهما من المنافقين.

وفي رواية ابن إسحاق: فانخرق من الماء ماء له حسّ كحس الصواعق. اهـ.

وفي البخاري [1] في غزوة الحديبية من حديث المِسْوَر بن مَخْرَمَة ومروانَ بنِ الحَكَم (أخبرَا عن أصحاب رسول الله ﷺ، وقد سَمِعَا جميعًا صحابةً شهدوا هذه القصة، كعمرَ وعثمانَ وعليٍّ، والمغيرةِ وأمِّ سلمة، وسهيلِ بن حنيف ﷺ) أنهم نزلوا بأقصى الحديبية، على ثَمَدٍ قليل الماء، يَتَبرَّضُه الناس تبرُّضًا، فلم يُلْبِثْه الناس حتى نزحوه، وشُكِيَ إلى رسول الله ﷺ العطشُ، فانتزَع سهمًا من كِنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يَجِيشُ لهم بالرِّيِّ حتى صَدَرُوا عنه.

وفي الصحيحين [2] عن أنس ﷺ قال: أصابت الناسَ سَنَةٌ على عهد رسول الله ﷺ، فبينما النبي ﷺ يخطُب يومَ الجمعة قام أعرابي فقال: يا رسول الله، هلك المال، وجاع العيال، فادع الله لنا. فرفع يديه، وما نرى في السماء قَزَعَةً، فوالذي نفسي بيده ما وَضَعَها حتى ثار السحابُ أمثالَ الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيتُ المطرَ يَتَحادَرُ على لحيته ﷺ، فمُطِرْنا يومَنا ذلك، ومن الغد، وبعد الغد، والذي يَلِيه حتى الجمعة الأخرى!

وقام ذلك الأعرابي أو غيره فقال: يا رسول الله، تهدم البناء، وغرق المال، فادع الله لنا. فرفع يديه فقال: ((اللهم حَوَالَيْنا ولا علينا)) فما يشير بيده إلى

(١) البخاري (٢٧٣٤).

(٢) البخاري (٩٣٣) و(١٠١٣)، ومسلم (٨٩٧) و(١٥١٥).

ناحية من السحاب إلا انفرجت، وصارت المدينة مثل الجَوْبَة، وسال الوادي قناةُ[١] شهرًا، ولم يَجِئْ أحد من ناحيةٍ إلا حَدَّث بالجَوْد.

وفي رواية قال: ((اللهم حَوَالَيْنا ولا علينا، اللهم على الآكام والظِّراب[٢] وبطونِ الأودية، ومنابتِ الشجر)). فأقلعت، وخرجنا نمشي في الشمس.

تكثير الطعام القليل ببركته ودعائه ﷺ:

[[٣]عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما حُفر الخندق رأيت بالنبي ﷺ خمصا شديدا، فانكفأت[٤] إلى امرأتي، فقلت: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ خمصا[٥] شديدا، فأخرجت إلي جِرابا[٦] فيه صاع من شعير، ولنا بهيمة داجن فذبحتها، وطحنتْ الشعير، ففرَغتْ إلى فَراغي، وقطعتها في بُرْمتها[٧]، ثم وليت إلى رسول الله ﷺ، فقالت: لا تفضحني برسول الله ﷺ وبمن معه، فجِئته فساررته، فقلت: يا رسول الله، ذبحنا بهيمة لنا، وطحنا صاعا

(١) قناةُ: اسم الوادي.

(٢) الآكام: جمع أَكَمَة. والظراب: جمع ظِرْب، وهو الرابية الصغيرة.

(٣) عنوان هذه الفقرة هو آخر ما وقفنا عليه في مخطوطة الشيخ رحمه الله، واجتهدنا في استكمال الفصل بإدراج ما بين المعقوفتين [ ] وفق ما فهمنا من منهج الشيخ في تأليفه ومصادره.

(٤) انقلبت ورجعت.

(٥) الخمص: الجوع.

(٦) وعاء من جلد.

(٧) البرمة: القدر.

من شعير كان عندنا، فتعال أنت ونفر معك. فصاح النبي ﷺ فقال: ((يا أهل الخندق، إن جابرا قد صنع سُورا[١]، فحَيّ هلا بكم)).

فقال رسول الله ﷺ: ((لا تنزلن برمتكم، ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء)). فجئت وجاء رسول الله ﷺ يَقدُمُ الناس حتى جئت امرأتي، فقالت: بك وبك. فقلت: قد فعلت الذي قلت. فأخرجتْ له عجينا فبصق فيه وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك، ثم قال: ادع خابزة فلتخبز معي، واقدحي[٢] من بُرمتكم ولا تنزلوها))، وهم ألف، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإن بُرمتنا لتَغِطُّ[٣] كما هي، وإن عجيننا ليُخبز كما هو[٤].

وروى الشيخان[٥] عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال أبو طلحة لأم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفا أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟ قالت: نعم. فأخرجت أقراصا من شعير، ثم أخرجت خمارا لها فلفت الخبز ببعضه، ثم دسَّته تحت يدي ولاثَتْني ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ.

---

(١) طعامًا.

(٢) اخبزي.

(٣) تغلي.

(٤) البخاري (٤١٠٢)، ومسلم (٢٠٣٩).

(٥) البخاري (٣٥٧٨)، ومسلم (٢٠٤٠).

قال: فذهبت به، فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد[1] ومعه الناس، فقمت عليهم، فقال لي رسول الله ﷺ: ((آرسلك أبو طلحة؟)) فقلت: نعم. قال: ((بطعام؟)) فقلت: نعم. فقال رسول الله ﷺ لمن معه: ((قوموا)).

فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أم سليم قد جاء رسول الله ﷺ بالناس، وليس عندنا ما نطعمهم! فقالت: الله ورسوله أعلم.

فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ. وفي رواية أبي نعيم قال أبو طلحة رضي الله عنه: يا رسول الله إنما أرسلت أنسا يدعوك وحدك، ولم يكن عندنا ما يشبع من أرى، فقال: ((ادخل فإن الله سيبارك فيما عندك)).

فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه، فقال رسول الله ﷺ: ((هلمي يا أم سليم ما عندك)). فأتت بذلك الخبز. وفى رواية ابن حبان فقال ﷺ: ((هل من سمن؟)) فقال أبو طلحة: قد كان في العُكَّة شيء. فجاء بها، فجعلا يعصرانها حتى خرج. ثم مسح رسول الله ﷺ القرص فانتفخ، وقال: ((بسم الله)) فلم يزل يصنع ذلك والقرص ينتفخ حتى رأيت القرص في الجفنة يتسع.

فأمر به رسول الله ﷺ فَفُتَّ. وعصرت أم سليم عُكَّة فأَدَمَتْهُ. ثم قال رسول الله ﷺ فيه ما شاء الله أن يقول. وفي رواية أحمد قال ﷺ: ((بسم الله، اللهم أعظم فيها البركة)).

---

(١) الموضع الذي أعد للصلاة في حين محاصرة الأحزاب للمدينة في غزوة الخندق.

ثم قال: ((ائذن لعشرة)). فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: ((ائذن لعشرة)). فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: ((ائذن لعشرة)). فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: ((ائذن لعشرة)). فأكل القوم كلهم وشبعوا، والقوم سبعون أو ثمانون رجلا. وفي رواية مسلم أنه ﷺ قال: ((ائذن لعشرة)). فدخلوا، فقال: ((كلوا وسموا الله)). فأكلوا حتى فعل ذلك بثمانين رجلا، ثم أكل النبي ﷺ وأهل البيت وترك سؤرا[1].

وفي تعدد الروايات وتغايرها في غزوة الخندق ما يدل على تعدد القصة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما كان غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة، قال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله ادعهم بفضل أزوادهم، ثم ادع الله لهم عليها بالبركة. فقال: ((نعم)). فدعا بنِطْع فبَسطه، ثم دعا بفضل أزوادهم. قال: فجعل الرجل يجيء بكف ذرة، ويجيء الآخر بكف تمر، قال: ويجيء الآخر بكسرة، حتى اجتمع على النِّطع من ذلك شيء يسير. فدعا رسول الله ﷺ عليه بالبركة، ثم قال: ((خذوا في أوعيتكم)). قال: فأخذوا في أوعيتهم، حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملؤوه. قال: فأكلوا حتى شبعوا، وفضَلت فَضْلة، فقال رسول الله ﷺ: ((أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك، فيحجز عن الجنة))[2].

---

(١) أي بقية.

(٢) مسلم (٢٧).

وفي مسلم عن أنس بن مالك ﷺ قال: تزوج رسول الله ﷺ فدخل بأهله. قال: فصنعت أمي أم سليم حيسا فجعلته في تَوْر[1]. فقالت: يا أنس اذهب بهذا إلى رسول ﷺ، فقل: بَعثتْ بهذا إليك أمي، وهي تقرئك السلام، وتقول: إن هذا لك منا قليل يا رسول الله. قال: فذهبت بها إلى رسول الله ﷺ، فقلت: إن أمي تقرئك السلام وتقول: إن هذا لك منا قليل، يا رسول الله. فقال: ((ضعه))، ثم قال: ((اذهب فادع لي فلانا وفلانا وفلانا، ومن لقيت)). وسمى رجالا. قال: فدعوت من سمى، ومن لقيت. قال: قلت لأنس: عدد كم كانوا؟ قال: زهاء ثلاثمائة.

وقال لي رسول الله ﷺ: ((يا أنس هات التَّور)). قال: فدخلوا حتى امتلأت الصُّفة والحُجرة، فقال رسول الله ﷺ: ((ليتحلق عشرة عشرة، وليأكل كل إنسان مما يليه)). قال: فأكلوا حتى شبعوا[2].

وعن عبد الرحمن بن أبي بكر ﷺ: كنا مع النبي ﷺ ثلاثين ومائة، فقال النبي ﷺ: ((هل مع أحد منكم طعام؟)) فإذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه فعجن. ثم جاء رجل مشرك مُشْعانٌّ طويل بغنم يسوقها، فقال النبي ﷺ: ((أبيع أم عطية؟)) أو قال: ((هبة؟)). قال: لا، بل بيع. قال: فاشترى منه شاة فصنعت. فأمر نبي الله ﷺ بسواد البطن يشوى. وايم الله ما من الثلاثين ومائة إلا قد حز له حزة من سواد بطنها، إن كان شاهدا أعطاها إياه، وإن كان غائبا

(١) إناء نحو القدح.

(٢) مسلم (١٤٢٨).

خبأها له، ثم جعل فيها قصعتين، فأكلنا أجمعون وشَبِعْنا وفضل في القصعتين فحملته على البعير[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج عليّ رسول الله ﷺ يوما، فقال: ((أُدع لي أصحابك))، يعني: أصحاب الصفة، فجلعت أتتبَّعهم رجلا رجلا أوقظهم حتى جمعتهم، فجئنا باب رسول الله ﷺ فاستأذنا فأذن لنا. قال أبو هريرة: ووُضعت بين أيدينا صَحْفة فيها صنيعٌ قَدْر مُدّ من شعير، قال: فوضع رسول الله يده عليها، فقال: ((خذو، بسم الله)). فأكلنا ما شئنا، ثم رفعنا أيدينا، فقال رسول الله ﷺ حين وضعت الصّحْفَة: ((والذي نفس محمد بيده ما أمسى في آل محمد طعامٌ غير شيء ترونه)). فقيل لأبي هريرة: قدر كم كانت حين فرغتم؟ قال: مثلَها حين وُضعتْ إلا أن فيها أثر الأصابع[2].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب فيهم رهط كلهم يأكل الجذعة ويشرب الفرق. قال: فصنع لهم مدًا من طعام، فأكلوا حتى شبعوا، قال: وبقي الطعام كما هو كأنه لم يمس. ثم دعا بغمر فشربوا حتى رووا، وبقي الشراب كأنه لم يمس، أو لم يشرب[3].

وفي مسلم عن جابر رضي الله عنه أن أم مالك رضي الله عنها كانت تهدى للنبي ﷺ في عُكة لها سمنا، فيأتيها بنوها فيسألون الأُدْمَ، وليس عندهم شيء، فتَعْمِد إلى الذي كانت تهدي فيه للنبي ﷺ فتجد فيه سمنا، فما زال يُقيمُ لها أُدْمَ بيتها حتى

(١) البخاري (٥٣٨٢).
(٢) المصنف لابن أبي شيبة (٣٢٣٦٩).
(٣) أحمد (١٣٧١).

عصرته، فأتت النبي ﷺ فقال: ((عصرتيها؟)) قالت: نعم. قال: ((لو تركتيها ما زال قائما[1]))[2].

وعنه رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي ﷺ يستطعمه، فأطعمه شطر وَسْقٍ من شعير، فما زال الرجل يأكل منه وامرأته وضيفُهما حتى كاله، فأتى النبي ﷺ فقال: ((لو لم تكله لأكلتم منه ولَقَام لكم)) [3].

قال النووي في الحكمة في ذهاب بركة السمن حين عصرت العُكّة، وإعدام بركة الشعير حين كاله: قال العلماء: أن عصرها وكيله مضاد للتسليم والتوكّل على رزق الله تعالى، يتضمن التدبير، والأخذ بالحول والقوة، وتكلف الإحاطة بأسرار حكم الله تعالى وفضله، فعوقب فاعله بزواله، والله أعلم].

[إبراء ذوي العاهات:]

[عن عاصم بن عمر بن قتادة: أن قتادة بن النعمان رضي الله عنه سقطت عينه على وجنته يوم أحد، فردّها رسول الله ﷺ، فكانت أحسن عينيه وأحدّهما[4].

وفي البخاري في غزوة خيبر أنه ﷺ قال: ((أين علي بن أبي طالب؟)) فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه. قال: ((فأرسلوا إليه)). فأتي به، فبصق

(١) موجودا حاضرا.
(٢) مسلم (٢٢٨٠).
(٣) مسلم (٢٢٨١).
(٤) المصنف لابن أبي شيبة (٣٣٠٣١) و(٣٧٩٢٣).

رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع[١]. وفي رواية مسلم من طريق إياس بن سلمة عن أبيه رضي الله عنه قال: فأتيت عليّا، فجئت به أقوده وهو أرمد حتى أتيت به رسول الله ﷺ فبسق في عينيه فبرأ[٢].

وسئل سلمة رضي الله عنه عن أثر ضربة في ساقه، فقال: هذه ضربة أصابتني يوم خيبر، فقال الناس: أصيب سلمة، فأتيت النبي ﷺ فنفث فيه ثلاث نفثات، فما اشتكيتها حتى الساعة[٣].

وعن حبيب بن فُوَيك (أو فُدَيك) رضي الله عنهما أنّ أباه خرج به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعيناهُ مُبْيَضّتان لا يبصر بهما شيئا، فسأله ((ما أصابه؟)) فأخبره، فنفث رسول الله ﷺ في عينيه فأبصر[٤]].

(١) البخاري (٤٢١٠).
(٢) مسلم (١٨٠٧).
(٣) البخاري (٤٢٠٦).
(٤) المصنف لابن أبي شيبة (٢٣٠٢٩) و(٣٢٤٦٤).

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين
وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

ISBN 978-1-953269-22-5

الناشر

موقع الشيخ محمد علي مشعل

www.mashal.ws